
الطبعة الثانية
جورج مايكش
كيف تنطح السماء
الولايات المتحدة، مرتادةً، ومستكشفة
من جديد، ومفسّرة
ترجمة
جرجيس فتح الله

كيف تنطح السماء

دار سپيريز للطباعة والنشر

صاحب الامتياز
حافظ قاضي

رئيس التحرير
مؤيد طيب

- الكتاب: كيف تنطح السماء
- تاليف: جورج مايكش
- ترجمة: جرجيس فتح الله
- الغلاف: بيار جميل
- الاخراج الفني: نازدار جزيري
- الطبعة: الثانية
- عدد النسخ: (1000)
- رقم الايداع: (345) سنة 2003
- مطبعة وزارة التربية - هەولير

كوردستان العراق - دهوك
مبنى نقابة عمال كوردستان - الطابق الثالث
هاتف: 7225376 www.spirez.com

الطبعة الثانية

كيف تنطح السماء

" الولايات المتحدة مرتادةً، ومستكشفة
من جديد، ومفسّرة "

بقلم
جورج مايكش

[رسم صوره: نيكولاس بنتلي]

ترجمة وتعليق
جرجيس فتح الله

سپيريز
دهوك 2003

مقدمة المترجم للطبعة الثانية

هذه الترجمة كانت اولى تراجمي التي سلكت سبيلها الى المطبعة قبل نصف قرن بالتمام والكمال، بعد ان نشرتها بفصول واجزاء متتابعة في الجريدة التي كنت أرأس تحريرها. وقد تفضل السيد مؤيد طيب فابدى رغبته في اصدار طبعة ثانية لها. وربما كان للمركز الذي تحتله الولايات المتحدة في وقتنا هذا دخلاً في تقديم الكتاب للقراء ثانية، لانه موقوف على الولايات المتحدة وعلى شعبها. ولانه كتب بأسلوب فكه رائع لا يقوى على اخفاء عمق الفكرة وبعد الملاحظة ودقتها وهي ما يمتاز به مؤلفه بنوع خاص. وكاتبه هو اديب هنغاري الاصل، زود الفكر العالمي بدراسات فكاهية عميقة التحليل عن عدد من الشعوب وأصدرها كُتباً نالت اعجاباً ومكانة عالمية الشهرة امتزج فيها الجد بالهزل والوصف الجميل بالنقد اللاذع المخفف جداً بالروح الفكاهية. واذكر اني كنت اقتني كل كتبه وكان الواحد منها يحتل الصدارة في قاعة الكتب العالمية الرائجة حال خروجه من المطابع. وبخلاف هذا الكتاب عن الامريكيين، كتب جورج ميكاش عن الانكليز، وعن الالمان والفرنسيين والطليان وغيرهم مما لا اذكره. وكان يستخدم دائماً واحداً من مشاهير رسامي الكاريكاتير ليزين كتبه بل افكاره التي يبسطها. وانا الان لا اتخطر غير عنوانين من عناوين الكتب التي اصدرها خلاف هذا العنوان. فقد سمى كتابه عن الشعب الانكليزي بـ "كيف تكون غريباً؟"

How to be an alien وكتابه عن الشعب الالماني اتخذ له عنوان "فوق الجميع" Über Alles، وهو كما هو معلـــوم فاتحـــة النشـــيد الوطنـــي الالماني.

وحاز الكتاب الذي الفه عن شعب الولايات المتحدة اعجاباً كبـــيراً ولا ادري ما الذي دفعني الى اختياري اياه للترجمة سوى انه كتاب فكـــاهي الطابع يتحدث عن عادات وتقاليد عجيبة غير مألوفة لمجتمع يبعـــد عنـــا اكثر من خمسة عشر الف ميل ولنا فيه معارف وجيران واقرباء هاجروا اليه منذ زمن بعيد، ولم يكن رغم مشاركته في الحرب العظمى يحتل تلك المكانة من الخطر والاهمية التي يحتلها الان طبعاً. ربما كـــان الدافـــع الاهتمام بهذه الدولة التي نفضت في بداية النصف الثـــاني مـــن القـــرن الماضي – رداء العزلة عنها وتزعمت الحرب الباردة التي نشبت بيـــن الشرق والغرب؟ في ذلك الحين كنا وبفضل الدعاية الســـوفيتية نعـــرف كل شيء عن الروس او ما ارادوا لنا ان نعرفه عنـــهم وبـــالقدر الـــذي أرادوه رغم نطاق الحظر المفروض حكومياً ولم نكن نملك شيئاً كثـــيراً عن عالم الولايات المتحدة وطبيعة الشعب الامريكـــي. وكـــان الكتـــاب فرصة اهتبلتها للتعريف ببلاد نجهل الكثير عنها رغم الحريـــة الكبـــيرة التي تتمتع بها معلوماتها وادبياتها في بلادنا لا ادري وربما كان لعنوانـــه الغريب الذي اختاره المؤلف اثره في اهتمامي به، فقد اسماه "How to Scrape Skies" مأخوذة من المصطلح المركب "Sky Scraper" وهـــو الاسم الذي عرفت به البنايات ذات الطوابق العديدة التي كان الامريكـــان اول من بناها وسموها بناطحات السماء. فترجمتُ العنوان بالحرف "كيف تنطح السماء" كما ترى.

وكأني بهذا الكاتب كان يتنبأ. ففي الفصل الاخير من كتابه هذا تحدث عن الامريكان وكأن العالم كله اصبح طوع يمينهم، ورسم فنانه الكاريكاتوري [نيقولاس بنتلي] الانسان الامريكيّ وهو راكب الكرة الارضية.

استطارت شهرة [جورج ميكاش] خلال العقدين الخامس والسادس من القرن الماضي ولقيت كتبه هذه شهرة كبيرة ثم خبا صيته فجأة وغاب اسمه في عالم التأليف والكتابة. كأنه رسول بلغ رسالة واوصل امانة.

وقد قرأت كتبه الفكاهية كلها الا ان كتابه حول الشعب الامريكي استهواني، واذكر اني اهديت نسخة من الترجمة في حينه لموظف كبير في هيئة الامم المتحدة كانت تربطني به صداقة، فكتب لي شاكراً وقال انه افضل كتاب حول التعريف بالامريكان لشعوب الشرق الاوسط الذين عرفوا بدقة استخلاص الحقائق من الهزل الجاد.

وفي الظروف التي نعيشها الان، ونحن وسط دوامة السياسة المتقلب ومفاجاءاته وعلى ضوء تزعم الولايات المتحدة الحملة ضد النظام العراقي. ثم أحتمال الحضور الامريكي الثابت في هذه الاجزاء من الكرة الارضية ثانية. قد تكون طبعة ثانية لهذا الكتاب وسيلة مفيدة للتعرف على الامريكي في حياته الخاصة والعامة والافادة من اوجهها الطيبة، وتفهم اسباب نجاحها. بل واهمّ من كلّ هذا السرّ في اهتمام الولايات المتحدة في قرننا الجديد بنشر المفاهيم الديمقراطية في العالم وإنْ بقوة السلاح.

جرجيس فتح الله

2002/2/6

مقدمة المؤلف

ما ان صدرت رسالتي الثقافية الصغيرة "كيف تكون غريباً" حتى ثارت في وجهي عاصفة من النقد اللاذع المر، وجابهني سخط اناس كثيرين لم يقروني على مؤلفي وعابه علي بعضهم حانقاً:

- من ذا الذي يريد ان يكون غريباً؟ كلنا نريد ان نصير امريكيين، كلنا نحن سكان هذا الكوكب من غير الامريكيين الذين يبلغ تعدادهم 200.000.000 نسمة؟ كلنا، قارات، واطفالاً من شتى الاعمار، اناثاً وذكوراً من جميع المذاهب والاديان، اغنياء وفقراء، صغاراً وكباراً، سوداً وبيضاً، رفعاء ووضعاء. ان العصر الاتي هو "عصر امريكا!".

فاحتججت قائلاً:

- انتم مخطئون في حدسكم، فالعصر الاتي هو "عصر الانسان العادّي" Common man .

فأجابوا:

- الامر سواء، او ليس الامريكان مثال الناس العاديين؟

لا بأس. لطالما وددت ان اكون من اصحاب الرسالات في هذا العالم، فكانت تقوم في وجهي عقبة واحدة وهي اختيار موضوع للرسالة! ولأهتبلَن الآن، فرصتي العظمى في تقديم رسالة الى سكان هذا الكوكب موضوعها: الطريقة التي يصيرون بها امريكيين!.

قبل ان انقل خطوة اخرى، اود ان اشدد على القراء بعدم الاعتماد على ارشادي ونصحي اني قضيت شهرين كاملين في الولايات المتحدة،

اتدارسُ تاريخها واقتصادها وسياستها ودستورها وعلم اجناسها ومشاكلها العنصرية وتشريعاتها وتنظيماتها الادارية والقضائية فضلاً عن الحياة الاجتماعية الامريكية، والجيولوجيا (علم طبقات الارض) والجينولوجيا (علم اصل الاجناس) والانثروبولوجيا (علم تصنيف البشر) وتحدثت شخصياً مع اناس كثيرين وركبت القطر التحتية والسيارات. وزرت "برونكس، وكوينز" حتى بلغت ضواحي "بروكلين". وازيدك علماً ان صفاء ضميري لم تكدره اية فكرة عن الولايات المتحدة، شخصية كانت، ام غير شخصية.

وسّعت منطقة ارتيادي في ولاية نيويورك، وشاهدت "نيوجرسي وبنسلفانيا ومايلاند ومنطقة واشنطن (د.س)، وفرجينيا وكونيكتكت وماساشوستس" واشرفت على الحدود، وتفرست في احشاء فرجينيا الغربية. وبعد كل هذا آتي فأقول بصراحة: ان الامر اختلط علي حتى وقعت في حيرة تامة. اني خاطبت أناساً وجها لوجه وبالهاتف. اناسٌ جاؤوا من اقاصي كاليفورنيا واوريگون وواشنطن (بدون، دي. سي) وقضيت ثلاثة ايام كوامل وانا اتدارس القارة العليا: كندا!

ومع ما رافق عملي من الاخلاص والتفرغ التام والاستعداد العظيم فقد وجدت نفسي ازاء عدة مشاق صعبة التقحم. اولها انه ليس من اليسير ان تعثر هناك على امريكا! اذ سيخبروك في نيويورك، بأن نيويورك ليست امريكا. ولو سألت بعد ذلك أي سؤال عن مشكلة زنوج الجنوب فسيأتيك الجواب البات على الفور: "ان الجنوب ليس امريكا". ولقد بلغت لغة التخاطب الانكليزية في "نيوانگلند" من الركاكة والمساخة ما لا يمكن عده امريكياً حسبما أرى (انهم يلفظون "طوماهطا" بدلاً من "طوماطا" واحياناً يلفظون "بطاهطا" بدلاً من "بطاطا"). اما "الغرب القصي Wild-West" فهو قصي جداً. كذلك "الغرب الاوسط

"Mid -West" فهو اوسط جداً. وهوليوود -طبعاً- لم تكن امريكية قــط. وكقاعدة عامة ، فــان المــدن الكبــيرة كشــيكاغو (تلفــظ شــيكاغو - وبالضبط) وفلادلفيا وبوسطن وديترويت ولوس انجلوس وسان فرنسسكو وغيرها، ليست امريكية ابداً! لان امريكا بلاد زراعية اول كــل شــيء. هذا كما ان الولايات المتحدة من دون هذه المدن العظيمة ليست امريكــا ابداً! وستجد الصعوبة نفسها في العثور على الامريكي!

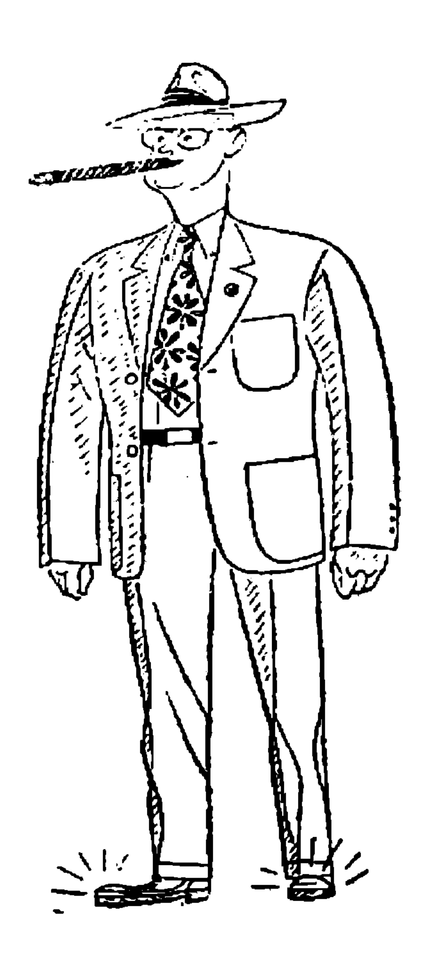
فالناس الذين ولد اجداد اجدادهم في امريكا ســيوضحون لــك بانهم "ايرلنديون او هولنديون او اسوجيون" (كل انســان هــو غــيره!) والناس الوحيدون الذين يدعون بالجنسية الامريكية مباشرة، هــم اولئــك الذين لم يمض على منحهم الجنسية الامريكية اكثر من خمس او عشــر دقائق!!

وعلى كل حال فذو النظرة السطحية، هو الذي يمكن تضليله وحملــه على الاعتقاد بعدم وجود ما يمكن تسميته "بالولايات المتحدة او الشــعب الامريكي" فهذان "الشيئان" لهما وجود فعلي، وهما اللذان ســنا الدســتور الامريكي، واوجدا طرز العيش الامريكي، والــهزليات المصــورة مــع صحفها الخاصة، ولعبتهما الرياضية الوطنية "البيســبول" (وهــي لعبــة الكريكت المعروفة مصحوبة برطانة امريكية قوية جداً) كما لديهما لغــة وطنية خاصة لا مشبه لها بأي لغة من لغات العالم!.

على ظهر الباخرة (الملكة اليزابيث)

ايار سنة **1947**

جورج مايكش



سيد امثل !

الفصل الاول

مشهيات

سيد أمثل Swell Guy

في امريكا تكاد الاحذية تلمع لمعان السراويل في انكلترا عقب زوال شبح الحرب الاخيرة عنها. ولا يتمكن الا الحازم الشديد الحذر من اجتناب عملية صبغ حذائه اربع او خمس مرات يومياً، إمّا في حوانيت الاسكافية، او في دكان الحلاق، او على قارعة الطريق او عند الصباغين. ان الامريكان مرهفو الاحساس في موضوع الاحذية ولا يشذ عنهم الا فئة من النيوانكلنديين الاغنياء المحافظين من ذوي الجاه. فهم يحاولون الابقاء على تقاليد النبل التي درجوا عليها، وذلك بلبس الاحذية القذرة وارتداء الاسمال من الثياب ايام الاحاد وعطل الاسبوع واهمال حلاقة الذقن.

في انكلترا كنت اعتبر من اولئك الذين يعتنون بهندامهم ويفخرون بجودة ثيابهم، باعتدال او على الاقل بغير فضول. فلما وطئت قدمي امريكا شرع اخي يلتمسني ملحفاً متضرعاً بان ابتاع ثياباً جديدة، قال ان الناظر الي يحسبني مستجدياً ذا كفاءات محدودة جداً وبأوطأ دخل لأخَيِّب

طبقة من المستعطين (في امريكا كل امرء ينتمي الى طبقة معينة بحسب مقدار دخله).

واليك القاعدة:

انبذ جميع ما عندك من القمصان، واشتر اخرى جديدة: اما حمراء تطرزها مربعات سوداء او دوائر سوداء ان شئت. واما قمصاناً ارجوانية رسمت عليها فراشات خضراء زيتونية. واما قمصاناً زرقاء بلون السماء وعليها سمكة بيضاء. وعليك ان تبتاع اربطة عنق، منها مثلاً ما هو مقسوم افقياً الى اقسام زرقاء او ذهبية ملأى برسوم فرّاشات وسمكة، او لك ان تبتاع ربطة عنق صفراء وعليها رسم امرأة عارية تبدو في النور الكهربائي وهي اكثر عريا، (لك ان تبتاع لعطلة الاسبوع بالطبع بعض اشياء صارخة اللون لا كهذه الاشياء الغامقة المغرقة في الرزانة والتحفظ!).

ارى من واجبي تنبيه قرائي من الانكليز، الى ان مغاسل الثياب ستصيبيهم بالدهشة فهي لا تقتصر على تنظيف قمصانك بل هي عادة تعيد اليك غسيلك جملة واحدة لا على دفعات صغيرة. وبهذا يضيع عليك الاثر البهيج في وثوقك من انك ستجد -في سلة غسيلك التي ارسلتها- ثيابك تعود اليك كاملة غير منقوصة، لا كما هو الحال في انكلترا حين تملؤك البهجة واللذة بفتح سلة غسيلك لتجد فيها -اكثر الاحيان- مناديل اطفال وثياب نوم نسائية، وسراويل نسائية من الطراز الفكتوري المزركشة اكمامها بالكثير من الدانتيل، عوضاً عن قمصانك القاتمة اللون العتيقة الطراز وسراويلك التحتانية ومناديلك.

ولتكن اكمام سترتك مكوية كحد الموسى، مثل طيتي سروالك تماماً، ولتضع سيكاراً ضخماً في فمك، وطول السيكار يتبع اهميتك ومكانتك.

وسيكار افراد الطبقة الاجتماعية ذات الدخل الواطـــئ، لا يكـــاد طولـــها يصل الى قدمين او ثلاث اقدام. وفي السيارات الامريكية الحديثة الطراز تجد ثقباً مستديراً في واجهاتها الزجاجية الامامية التـــي تتيـــح للســائق اخراج نهاية سيكاره. وفي دار الصور المتحركة Movie (وهذه الـــدار هي السينما الاعتيادية في الحقيقة) لك ان تحرق بنارهـــا آذان الجالســين امامك دون ان تجد لزوما للاعتذار.

واخيراً تبتاع قبعة، والاصول (الاتيكيت) الامريكـــي صـــارم جـــداً بخصوص القبعات: عليك أن تلبسها قبل الدخول الى غرفة، وسواء فـــي ذلك اكنت في محل عام او خاص، ولكن محظور عليك ان تضع القبعـــة وانت في الرافعة الكهربائية Elevator (المصـــاعد العاديـــة) الا فـــي مقرات الاعمال، فعليك اذ ذاك ان تلبسها، وحيثما داخلك الشـــك، دعـــها على رأسك. ومن عدم الكياسة ان ترفع قبعتك عن رأسك في أي وقـــت اثناء شهر العسل، او في المسبح او عند الحلاقين!

الوقت والفراغ

عندما تفرغ من ارتداء ثيابك، ابدأ بالخروج، الى اين؟ هذا ليس مهماً، اخرج الى مكان ما لأن كل الناس يخرجون الى كل مكان. ففي امريكـــا مصاعد سريعة، قطارات نقل تحتية سريعة (اعني قطراً تعمـــل تحـــت الارض) Subways وثمة محلات تستطيع ان تتناول فيها وجبة طعـــام مؤلفة من اربع دورات بوقت لا يتجاوز تسعين ثانية. وثمة احواض لبناء السفن تنتج كل ساعة طَرّاديْ قتال او سفينتي شحن حمولة كـــل واحـــدة منها خمسون الف طن، والاطفال عند الطبقات الاجتماعية ذات الدخـــول

العالية يمكن تكوينهم بثلاثة اشهر من الزمن اما الارخص من الاطفال فيقتضي انتاجهم وقتاً اكثر قليلاً.

ان البقال الامريكي لا يعرف الا القليل من اللذة التي يتمتع بها زميله الانكليزي حين يتحدث عن المناخ مع كل زبون مدة تزيد على ثلاثة ارباع الساعة بينما يقف صف المشترين Queue المسالم المدرك، كل واحد منه ينتظر دوره لهذه الثرثرة الودية.

ان اعتقدت بان قطر لندن التحتية تكتظ بالرواد ساعات الخروج فانت غلطان، وانك لتجد في الساعة التاسعة صباحاً او الخامسة مساءً في خط بيكرلو Bakerloo بين بيكادلي واكسفورد سركس – خواء وسكينة اشبه بخواء الاديرة وسكينتها اذا قيس ذلك بقطار نيويورك التحتي في مثل ذلك الوقت، فهنا يجلس الناس بدون تكلف او استغراب على كتفيك كما يفعل الحَمام في قصر سان ماركو بالبندقية. وقد تدب العجائز حول ركبتيك. وليس من الغريب ابداً ان تجد بعض الايفاع من الاطفال في جيوبك. وعندما يخيل لك ان العربة بدرجة من الاكتظاظ بحيث ما عادت تسع أي شخص اضافي، اذا بك تجد في المحطة الثانية ثلة مكونة من سبعة شبان ضاحكي الثغور يتجهون اليها رافعي الايدي، مندفعين كتلة واحدة بقوة تلك المسافة حتى ان القوة البقَريّة المتولدة في دخولهم تدفع الفائض من الركاب الى الجانب الاخر من خلال الابواب والنوافذ المغلقة.

لا تجد واحداً يستولي عليه الغضب او الانزعاج. فالناس راضون عن حالهم يبتسمون برقة. انهم يفهمون المقصود بعبارة "شخص مستعجل".

انهم يشتغلون باستعجال، يتكلمون باستعجال -بجمل موجزة متقطعة كثيرة الوقفات- ينامون باستعجال، حتى انهم يشربون باستعجال، يعبون بضيق المستعجل عدداً خيالياً من كؤوس الكوكتيل والمارتيتز النقي، والويسكي الصافي، انهم لا يتمتعون بالشرب نفسه، بل يشربون لغرض آخر، انهم يريدون ان يكونوا على درجة لا بأس بها من السكر في اقصر مدة ممكنة.

ثم عليك ان تعتاد حجوم الاشياء، فبناية الأمباير ستيت Empire State تتألف من مائة طبقة وأثنتين، ويسكن حي روكفلر من الاحياء، او بالاحرى يشتغل فيه من البشر، ما يربو عدده على سكان كثير من المدن الاوربية الكبيرة الشهيرة. وولاية تكساس Texas تبلغ مساحتها ثلاثة اضعاف مساحة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى مع القسم الشمالي من ايرلندا، وان أتت الولايات المتحدة نفسها في الدرجة الثالثة بكبر المساحة بين دول قارتي امريكا. ووعاء السكر الذي تجده على مائدتك، هو ناطحة سحاب بحد ذاته. ويمكنك ان ترى علب كبريت بلغت من الضخامة ما يُخجِل حقيبة سفر صغيرة، كل علبة منها يصح ان تستعمل في انكلترا خشباً للوقود. وان امرت بفروج مقلي على طريقة اهل الجنوب في احد المطاعم فهم يأتونك بشرائح وقطع كثيرة العدد بحيث لا يسعك الا ان تؤمن بانها "نعامة جنوبية" مقلية! وانك لتشعر بتقزز من نفسك حين تأتي عليها جميعاً. ان طبعة يوم الاحد من جريدة ما، اشبه شيء بأي مجموعة كاملة من "دائرة المعارف البريطانية". وفي جزيرة كوني Coney Island من الملاهي المتراكبة الآخِذِ بعضُها بحُجُز بعض في صف يمتد اميالاً عدة، ما يكفي لجعل قَطْر بلقاني صغير يلهو ويلعب لمدة سبعة اعوام بلا انقطاع.

صنع احد اصدقائي –وهو رسام اوروبي جاء امريكا– صورة لرئيس شركة عدة مخازن تجارية كبيرة Chain Stores، فأعجب الرئيس بصورته اعجاباً عظيماً وسأل عن ثمنها، فأجاب صديقي:

– مائتا دولار!

فأومأ الرجل العظيم برأسه موافقاً وقال:

– طيب، وكم تطلب لو أني أوصيت بعدة نسخ!

فلاح شيء من الكدر على صديقي. ولما كان بحاجة ماسة الى المال، سأل الرئيس:

– هذا مرهون بـ... كم عدد من النسخ تريد؟

– خمسمائة!!

– آسف، اني لم ادرك العدد بوضوح!

– قلت خمسمائة، ودونك حقيقة الموضوع: اريد ان تعلق صورتي في جميع دوائر شركتي، في مختلف ارجاء الولايات المتحدة. غير

– اني لا ادفع لك اكثر من مئة دولار للنسخة الواحدة.

وكان هذا اكثر مما يستطيع صديقي الرسام ان يتحمله، فقال:

– لكنني يا سيدي وارجو العفو، فنان ... ولست ..

فقاطعه الرجل العظيم قائلاً:

– ان كنت فناناً فأنجز العمل بسرعة!

وعقدت الصفقة، وهكذا بدأ رسام اوروبي عمله الفني في الولايات المتحدة، وهو الان اختصاصي في رسم صور رؤساء شركات المخازن الكبيرة، وانه ليرفض الان ان يعمل بأقل من مئتي نسخة للصورة الواحدة وقد بلغ الان غاية النجاح.

الصورة الشخصية التي يرسمها لك تكلف خمسمائة دولار، لكن لـــو اوصيت بعمل كروص Gross [1] فانك ستفوز بخصم قـــدره عشـــرون بالمائة.

كيف تصير آلي التفكير

الامريكيون شعب ميكاني الى اقصى حد، وان في الاجهزة الميكانيـــة الامريكية طبعاً غريباً لا نظير لغرابته: فهي تشتغل ولا تتوقف!

انك لتقصد الى آلة في اوربا، فتُسقِط فيها عملة وتسحب القبضة، فـــلا يحصل شيء، على انك في امريكا تستطيع ان تراهن بانك ستظفر بقطعة من الشوكولاته، او من اللبان مقابل السنت Cent[2] الذي تلقيـــه. ان فـــي طبعي ميلا الى الايثار والتضحيـــة، فأنـــا شـــخصياً افضّـــل المكـــائن الاوربيةعلى مثيلاتها الامريكية المضبوطة. لكن اقر بان هذا الموضوع، موضوع ذوق ليس الا!

في المطبخ الامريكي تجد عاصرة برتقال كهربائية لتحضير عصـــير من هذه الفاكهة بجانبها عصارة ثانية ميكانية احتياطاً لما قد يحصل مـــن تعطل كهربائي يقف زميلتها (على ان التيار الكهربائي لا ينقطع البتـــة). وفي المطبخ تجد ايضاً غاسلة اطباق كهربائية، وغاسلة ثياب كهربائيـــة، وثلاجة كهربائية، وفاتحة علب معدنية مثبتة في الجدار. وفي الامكـــان اشعال الغاز دون اللجوء الى عود كبريت، او الى أي وسيلة اخرى مـــن وسائل الايقاد، بل بادارة لولب فقط. ويمكنك ان تجد فرناً ذا ضغط عـــال

---

[1] الكروص (ويطلق عليه العامة "كلوص" بالكاف الفارسية) هو اثنا عشـــر "درزن" أي مائـــة واربعة واربعون وحدة من أي شيء.

[2] اصغر عملة امريكا وكل مائة فيها تعادل دولاراً.

تطبخ بواسطته لحمة في عشر دقائق واي نوع من الخضار بدقيقتيـــن او ثلاث. ولقد عمدت الى استعماله في طبخ بعض القرنبيط، فـــأخرج لـــي والحق يقال خير ما ذقت من حساء الكرنب على الاطلاق.

ولا يؤبه بالقناني والاوعية، اذ لا قيمة لها عندهم مطلقاً، وهي تطـوح خارجاً. الحليب يأتيك بأوعية من الكاغد، والطماطم بظروف مصنوعـــة من لب الخشب Cellophone، والملح يباع بخابطات Shakers[1] هــذه المستحدثات تجعل حياة امرأة البيت سهلة ناعمة، وكل النسوة يتقن الـــى الظفر باختراع آخر: هو الخدمة المنزلية، لكن ذلك مستحيل عمـــلاً فـــي اغلب الاحيان.

الشعب الانكليزي شعب حكيم، محافظ على التقاليد، ينفر نفوراً شـديداً من هذه المكائن التي تجعل الحياة بخسة ركيكة، مفعمة بالآلية. فـــالى أي حد بلغ من الاصابة؟ هذا ما لا يسع المرء البت فيـــه الا حيـــن يتـــأمل الطريقة السخيفة الرتيبة الخالية من الروح التي يتبعها الامريكيـــون فـــي تدفئة بيوتهم. او ثمة شيء ادعى الى السرور، واوقع في النفس، واكـــثر رجولية –ان صح لي القول– من ايام الشتاء في انكلترا؟

من المسلم به ان انبوب التدفئة المنصدع، هو ظاهرة طبيعية لفصـــل الشتاء، ان عرفت مقدماً بأن الانابيب لابد وتتفجر يوما ما. ولكـــن مـــا اجمل قضائك الايام الثلاثة الاولى البهيجة، وانت منشـــغل بربـــط تلـــك الانابيب وشد صدوعها، ثم تركها والجلـــوس انتظـــاراً ليـــوم الـــهجوم D.Day ؟.

[1] وهو مستحدث امريكي آلي يستعمل لخلط السوائل بطريقة آلية كمزج شـــراب الكوكتيـــل وخبط البيض او اللبن الخ.....

ما الذ عملية اختزان الفحم في العلبة، او في مرأب السيارة، او في برميل السبح؟ ونقله يومياً بالجردل وتوزيعه على سائر الغرف. ما اجمل ايقاد النيران في المدافئ المفتوحة! انك لتنفخ في النار وتفتح جريدة تطالع فيها منتظراً. ثم تلعن وتقسم الايمان المغلظة وتصخب وتعيد ذلك عندما تنطفئ. واخيراً وبعد ان يدب النار فيها ويعلو وقدها، تأتيها الريح من ماسورة المدخنة، فينتابك من الغم والضيق لانطفائها قدر ما انتابك في اشعالها. لكن الايام ليست كلها كثيرة الرياح طبعاً، فثمة ايام شتوية قريرة لكنها هادئة الريح، جميلة، يمكنك خلالها -بعد المصاعب التي عانيت- ان تفترش الارض مقبلاً على نار بيتك الصديقة الاليفة، مستمتعاً حق الاستمتاع بكتاب جيد الاسلوب، ومما لا سبيل الى نكرانه ان النار قد تلفح شعر راسك لو غفلت عنها، لكن ما يعزيك عن ذلك دائماً هو انجماد قدميك من الجهة القصوى في الوقت نفسه.

وامريكيو العصر، اجهل الناس بامثال متع الحياة هذه. هم لا يدرون بانها ضائعة منهم. فبيوتهم تدفأ بالنفط وهذا يعني ان احدى شركات النفط تتعهد بملء خزان الدار. فكل ما يتعين على صاحب الدار عمله، هو تنظيم امر المقياس meter، والمقياس نفسه عبارة عن ساعة صغيرة تنصب على درجة الحرارة المطلوبة، ولنقل (70) درجة حرارية، فاذا ارتفعت الحرارة الى الحد المنشود وقف عمل (المولد)، واذا عادت وانخفضت الى (69) درجة حرارية، شرعت من تلقاء نفسها، وهكذا، زد على كل ذلك ان الساعة يمكن نصبها بحيث ينقطع توليد الحرارة آلياً في مواعيد مخصوصة، ولنقل في الساعة الحادية عشر ليلاً، ثم انها تستأنف شغلها في الساعة السادسة صباحاً، وعلى هذا فقس.

لحاه الله هذا الشعب المسكين! أي حياة كئيبة محزنة يحيا.

هذا ما قد يتوهمه القارئ الانكليزي متألماً مشفقاً، لكن لا، ربما كنت مخطئاً مرة اخرى، فالمرجل يلزمه تنظيف، ومنافذه لا تنسد وقد لا يحصل تعطيل عام في الجهاز غير مرتين في السنة.

فالشركة التي تبيع منك نفط التدفئة الرخيص هي المسؤولة عن تنظيف مرجلك، غير متقاضية عن عملها هذا أي اجور اضافية.

وانكلترا –كقاعدة عامة– بلاد دافئة نسبياً، على انها شديدة الرياح باردتها. اما امريكا فهي بلاد باردة لكنها جيدة التدفئة. الحقيقة ان تدفئتها مبالغ فيها، والناس في اشد الايام برداً يجلسون امام النوافذ المفتوحة بثيابهم الداخلية. ان بريطانيا بأسرها، بل القارة الاوربية كافة، يمكن ان ندفأ تدفئة جيدة، بالطاقة الحرارية التي تتسرب من نوافذ دور الولايات المتحدة!

في مطاعم امريكا خدم اتوماتيون، فيها شرطة مرور اتوماتية ينبهون الناس اليك اذا وقفت سيارتك اكثر من ساعة، وبوسعك ان ترسل خطاباً بريدياً بماكنة البريد Mailomat، فهي تلصق الطابع عنك. وثمة ابواب مضيئة Photo-cell-doors تفتح آلياً امام الخدم الحاملين الثقيل من الصواني، وثمة غرف اتوماتية تودع فيها المعاطف ويتم عملها بان تلقي فيها (دايماً)[1] Dime فتنال مفتاحاً تقفل به قسمك الخاص من الدولاب الحديدي، وبوسعك اسقاط (دايم) في ماكينة فتصورك شمسياً، ثم تحمض الصورة ثم تطبعها ثم تقدمها اليك في اطار، ويتم كل ذلك في تسعين ثانية لا غير ويمكنك ان تحصل على وثيقة تأمين جهاز اتوماتي. واذا وضعت (نيكلة)[2] في صندوق ارغيني Juke-box وضغطت زراً، تحتم

---

[1] قطعة نقد امريكية تعدل عشرة سنتات.

[2] قطعة نقد امريكية تعدل خمسة بنسات.

على كل مرتادي المطعم ان ينصتوا الى اغنيتك المفضلة ربما عشـــرين مرة، شاؤوا ام ابو!

انا احب كذلك النظام المتبع في برقيات اعياد الميلاد. فبدولار واحـــد على ما اظن يمكنك تبعث برقية غنائية، واعني بذلك ان الغلام ســـاعي البرقيات يسلمها للمرسلة اليه وهو يغني انشودة (فليكـــن عيـــد ميـــلادك سعيداً Happy birthday to you) منادياً متسلم البرقية وقد يكـــون جدتك باسمه المجرد. وبعشرة دولارات يوصل برقيتـــك جـــوق غنـــائي مؤلف من عشرة سعاة. وبخمسة وعشرين دولاراً يقود هذا الجوق مديـــر دائرة البريد والبرق العام.

وثمة مخترعات جديدة، وهي في طور الانشاء:

- تدير لولباً فتقع في الحب.
- تسحب مقبض آلة فتتكح!
- تجر سلكاً ميكانياً فيتم طلاقك.
- تدير اكرة، ولك ان تعتبر نفسك بانك قد استحممت.
- كل الكتب الكلاسية[1] مجهزة بازرار، فأما تقـــرأ الكتـــاب، واما تضغط الزر!

مع كل هذا ففي الحياة الامريكية، تنهض عقبتان فنيتـــان خطيرتـــان: اولهما ان سائق الباص هو اشقى الناس طراً، اذ يجـــب عليـــه انجـــاز الاعمال التالية:

(1) يجمع النقود (2) يصرف النقـــود اذا اســـتلزم الامـــر (3) يعـــد الحصيلة وينقلها من صندوق التجميع الى صنـــدوق آخـــر يســـتطيع ان

---

[1] يراد بهذه الكلمة عادة classic كتب الادب المدرسي الغابر من اغريقية ورومانية ومؤلفـــات عصر النهضة في القرون الوسيطة.

يعطي منه نثير النقد بسهولة (4) يفتح الباب الاتوماتي ويغلقه (5) يسهر على ملاحظة عدد الراكبين، وعلى جدول المواعيد الخاصة به (6) – كدت انسى تماماً– والسائق نفسه ينسى احياناً– ان سياقة الباص تقع على عاتقه!

وثاني العقبتين: هي انك تحتاج في امريكا الى يدين لتبرد رسالتك، فلكل صندوق بريد قبضة، عليك ان تجرها الى الاسفل، ثم ترمي رسالتك داخل الصندوق وترفع يدك عن المقبض. بامكانك سياقة السيارة او توقيف قطار او تطيير طيارة، غير مستعمل ما لا يزيد من يد واحدة، لكن عليك استعمال كلتا يديك في ايداع خطابك البريد، واذا كنت تحمل طرداً او حقيبة فعليك ان تطرحها ارضاً حتى يتسنى لك سحب المقبض.

وترتفع عقائر سواق الباصات ومرسلو الخطابات بالشكوى المرة في امريكا. ولكن ملكة الابداع الامريكية لم تستحدث حتى الان ما يخفف من شقائهم وعندي لحل هاتين المشكلتين مقترحان جد غريبين، ان لم اقل فكرتان ثوريتان! ربما حلتا المشكلتين. لقد اتضح لي امكان استخدام رجل ثان في الباص ربما صح لنا ان نسميه بالمرشد (وارى الاسم يناسبه تماماً) واذ ذاك يكون السائق قادراً على حصر كل اهتمامه في سوق الباص.

وفكرتي الثانية هي: ان نجرد كل هذه الصناديق البريدية مع مقابضها، وندعها مفتوحة الشقوق على الدوام وبذلك يمكن القاء الخطابات البريدية في جوف الصندوق دونما حاجة الى بذل جهد عضلي كبير. وكيفما كان فالولايات المتحدة بلاد اشبه بحقل لاجراء التجارب الاتوماتية، وربما اتيح لها في ظروف غير هذه ارشاد العالم في هذا الخصوص.



انها لتشتغل والله !

العادات

قبل بلوغ الطفل الانكليزي او الاوروبي سن النضج، واقصد الثالثة من العمر، تقوم امه عنه بتقطيع اللحم له. وتدفع بالشوكة الى يمناه وتأمره باستخدامها في اكل اللحم. هذه الطريقة نفسها يتبعها الامريكي البالغ المهذب، لما يتناول غذاءه جامعاً بين عمل الام والطفل. فهو يقطع اللحم اولاً ثم يضع سكينه يسار طبقه، ثم يمسك الشوكة بيمناه ويبدأ يأكل.

وآداب الطعام في العالم كافة – شيء تافه لا طعم له، فأصوله تخلقها طبقة صغيرة من أناس يعيبون على الاخرين اكلهم بطريقة تختلف عنهم، هذه الطبقة، تظل هي الطبقة الحاكمة، ما دامت قادرة على فرض اصولها الخاصة بمسك الشوكة والسكين. يبدأ اهل المجر (هنغاريا) الاكل بربط حافتي الفوطة حول العنق لتقي ثيابهم بشكل يبعث الضحك، وهذه الظاهرة تدلّ على نهاية عهد الاقطاع في هنغاريا. ومرة قطع فرد من قبيلة آكلة لحوم البشر في غينيا الجديدة اذني جنتلمان مشوي حديثاً، وقدمهما –خلافاً لكل العادات المتبعة– الى رئيس القبيلة بدلاً من تقديمها للكاهن. فلما طلع فجر يوم التالي خضدت شوكة الكهنة وذهبت سلطتهم على رؤساء القبيلة الدنيويين. ولن تحدث في انكلترا ثورة اشتراكية خطيرة ما دامت الطبقة العاملة تنكس شوكتها وتشك الخضروات برؤوس اسنان الشوكات ثم تلتهمها.

في آداب الطعام، سماجة وفجاجة، لكن لديها من الاسباب الوجيهة ما يبرر بقاءها وممارستها. واذا كلف المرء نفسه عناء تحليل نفسية البلاد الامريكية، فانه لواصل الى بعض النتائج المهمة الجديرة بالتأمل،

لاسيما حين يتبين السبب الذي يدفع بشعب الولايات المتحدة الى الاكل كأطفال في الثالثة من العمر!

هناك قاعدة مهمة تتعلق بالاشربة يجب ان تذكر. فالامريكيون يتناولون القهوة بالحليب دائماً، وذلك خلال وجبات الطعام المتخللة [entree][1] وقبيل الحلوى (التي لا تسمى بالحلوى مهما كانت الظروف) وعليك ان تشرب قدراً عظيماً من الماء خلال كل وجبة طعام، سواء لديك اكنت تشرب المارتيني غير الممزوج او البيرة، او النبيذ، او خمرة البراندي. انك لتبلع بعض الطعام، ثم تستاف في الحال جرعة ماء لتجرف الطعام الى جوفك جرفاً. وتوصيك مدارس القرى بشرب ما لا يقل عن ثلاثة اقداح ماء. وتنبه عليك المدارس الثانوية ان تشرب خمسة اقداح على الاقل، وتصر جامعات برنستن Princeton وييل Yale وهارفرد Harvard على ان يكون الحد الادنى لما تشربه اثني عشر قدحاً من الماء، فاذا انقصتها الى الثمانية فأنت قليل الادب والثقافة.

اذا غضضنا الطرف عن آداب الطعام تلك، رأينا ان السلوك الامريكي لا يتقيد الى حد ما – بالرسميات، فكل أمرء او امرأة ينادي وتنادى بالاسم المجرد. وهذا طابع دمقراطي اصيل. انك قد تنادى بالسو " جون سواندرز. دي- إس- أو، بي- اج- دي، إل- إل- دي[2]، رئيس بعثة اقتصادية مهمة في الولايات المتحدة" او ما شاكل ذلك، لكنك لا تضبط اعصابك، او تبقى على وقارك اذا ما قدمت الى الناس على الوجه الاتي:

---

[1] لون خفيف من الطعام يقدم للاكلين بين وجبتي السمك واللحم عادة.

[2] ان D. S. O. ترمز الى "حامل نوط الخدمة الممتازة البريطاني" و Ph. D الى "الدكتورا في الفلسفة" و D. L. L الى "الدكتور في القانون"

- هذا هو جون، هذه هي جانيت!

واذا دعي الاستاذ البرت اينشتاين لالقاء كلمة بالمكروفون فسيقدمه المذيع بالصورة الآتية:

(عندنا الليلة، في دار الاذاعة، السيد البرت اينشتاين الوَلَدُ العالم... هايا... البرت! ما أسعدنا برؤيتك، اريد ان اسألك بضع الاسئلة، اجبنا اولاً يا آلبي... ماذا ترى في النسبية؟ آوه! لا تكن عييا، غبياً... هيا... هيا يا برتي لا تكن حيياً!).

والبشاشة هي القاعدة العامة، هبك عامل مصعد تريد السؤال عن صحة زوجة احد سكان البناية، انك لتناديه قائلاً:

- هايا hiya ... مستر.. كيف حال صاحبتنا اليوم؟

وان ظهر على وجهك بعض حزن وغم، فسيربت صباغ الاحذية على كتفك مواسياً ويصرخ في طبلة اذنك:

- هوّن عليك! Take it easy

وفي كل نوع من الاحاديث عليك ان تبدي مقداراً من الاهتمام الانساني باخوانك بني آدم. وليكن قصارى همك -حين تتعرف بـأحدهم- ان تخرج منه في اول خمسة دقائق بكل ما يخص مهنته، وربحه، وكم يبلغ رصيده في المصرف، ومبلغ اخلاصه لامرأته واسم العشيقة وعنوانها، وعمّا اذا كان قد احتال على ضريبة الدخل. ولما يأتي دورك للرد على الاسئلة نفسها، أجب بصراحة، وستشجعه ابتسامتك العريضة على القيام بتحقيق آخر حول اسرار تجارتك وصفقاتك المالية وعلاقاتك الجنسية! ولا تنس ان اصغاءه الى صوت منخفض النبرات انما هو مجهود شاق على سمعه، فلا بأس عليك ان تصرخ، وتزأر، وتعوي، وتنهق بأعلى ما تطيقه حنجرتك. واذكر ايضاً ان الكلام الكثير معناه

إتعاب حنجرته، فقاطعه ما استطعت، وانقذه من مشقة اكمال عباراته، ابسط ما تريد قوله بشكل جازم لا مرد له، ولا تشجع الاخرين على التذبذب والتردد، لا تستعمل امثال هذه العبارات:

- يخيل لي ان...
- لا اظن ذلك...

فهذه الجمل وامثالها مغلقة، غامضة، مخنثة، لا تليق بالرجال، واذا لم يتفق رأيك ورأيه فقل بلا تردد:

- هراء! (أو قاذورة Garbage – كما يعبرون عنها في امريكا).

وثمة عادة امريكية اخرى في غاية الاهمية يجب ان تقدرها حق قدرها وهي ان الامريكين اعظم كتاب رسائل. فاذا ما دعيت الى مأدبة، وجب عليك ان ترسل في اليوم التالي خطاب شكر الى الداعية تصف به المتعة العظيمة التي نلتها في مأدبتها الرائعة واذا ما حدث امر مفرح مهما كان، فعليك ان تهنئ افراد الاسرة جميعاً وعليك ان تهنئ الناس بالعيد الكبير وعيد الميلاد وعيد الاحد الجديد (وعلى ذكر العطل فلا وجود لعطلة المصارف عند الامريكان مهما بدا ذلك غريباً، فالظاهر ان المصارف لا تؤدي دوراً ما في حياة الامريكيين الدينية).

وليس من الضروري ان تكون ذا ملكة ادبية، ففي متناول يدك بطائق مطبوعة جاهزة لكل المناسبات المحتملة. وفي متجر قريب من وول ستريت Wall street، وقفت على العناوين الآتية صدفة واعتباطاً:

"المرض، المرض الفجائي، مرض المستشفى، حوادث الدعس، المرض الوطني، مرض الاطفال، المرض الفكاهي"

(واصدقك القول ان الدهشة استبدت بي لدن اتضح لي المقصود بالمرض الوطني من العبارة الاتية، قرأتها في بطاقة جميلة:



هايا.. يا آل ! هايا برتي

[آل تصغير آلبرت. وبرتي مختصرة]

"تبل من مرضك، بسماعك اغنية: الشمالي الابله الغرانق Yankee "Doodle Dandy

وقد اضعت -لسوء الحظ- الملحوظة الخاصة بتعريف "المرض الفكاهي". واذا اسعفتني الذاكرة، فهو نوع من الوعكة، يرفع المريض في نهايتها احدى ساقيه، مطلقاً رفسة في الهواء بشكل مضحك جداً، ثم تطلع روحه!) وهناك بطائق لتنظيم كل انواع الروابط الاسرية: منها ما هو بين الاخت والزوج، بين الابن وزوج الاب، بين الاخ وزوج اخيه، بين الاخ والعم، بين الابنة وزوج ابيها الخ... وشاهدت فرعاً للبطائق بعنوان "الطفل يشكرك" فيه جناح خاص بالتوائم، مقسم الى اقسام صغرى: لتوأمين ذكرين، لتوأمين انثيين، لتوأمين انثى وذكر. وهناك اخيراً "بطائق الفراق" جُعلت لها خبايا صغيرة توضع فيها الاوراق المالية لتخفف من حزن الشخص الذي ازمَعَتَ مفارقته. وبينما كنت اسرح بصري دنا البائع مني وسألني:

- أما وجدت بغيتك من البطائق ياصبي kiddie؟

- كلا، فانا اريد بطاقة اهنئ بها والد جدي بثلاثة توائم رزق بها، كلها مصابة بعمى الالوان.

فأحنى رأسه وقال بكل جد "لبيك" ثم استل ثلاث بطائق من المجموعة وناولني اياه قائلاً:

- اتريدها باللغة الانكليزية، ام بالطليانية، ام بالجرمنية العبرية؟

كيف تنفق النقود؟

سيجد معشر الانكليز ارتباكاً وازعاجاً في قاعدة العملة الاميريكية، فالقاعدة الانكليزية بسيطة وهي: اثنا عشر بنساً تعدل شلناً واحداً،

عشرون شلناً، تعدل باوناً، شلنان وستة بنسات تعــدل نصــف كــروان Crown. (لكن الكراون لا وجود له) والشلنان يعدلان فلورينــا Florin (وتعبير الفلورين غير مستعمل ابــداً). وانــه ليســعك شــرح القــاعدة الانكليزية لأي اجنبي بخمس دقائق لا اكثر، واذا كـــان خـــارق الذكـــاء فسيعلم –بعد ان يمكث سنتين في هذه البلاد– كم يفضل له مـــن نصـــف الكروان اذا وجب ان يعطي منه شلناً وثمانية بنسات[1]؟

والدولار من الناحية الاخرى يحتوي على مائة سنت، وهذا كل ما في الامر. وقد بسطت الموضوع لرجل اعمال امريكي فقلت:

– ان الفائدة العظيمة لقاعدة العملة الانكليزية مختفية (واي اختفـــاء!) في الحقيقة القائلة بان الباون يمكن تقسيمه الى اجزاء متســاوية ثلاثــة، اضرب ثلاثة في ستة، واضف اليها ثمانية، يخرج لك باون كامل![2]

فما لبث ان اجابني:

– قد يكون ما ذكرت في غاية السهولة، ولكن لم ار حاجة حتى الان، الى تقسيم الدولار اقساماً ثلاثة متساوية. ثم اذا انا عقـــدت صفقـــة تجارية مع شركة انكليزية ونلت عمولة[3]، ولنفترضـــها 35/17/10 باون استرلينيا، فلا بد لي من استخدام محاسب مدرب تدريباً خاصاً يعمل عندي نصف يوم ليخرج لي ربحي الصـــافي علـــى قـــاعدة الدولار.

---

[1] عدل عن هذا في انكلترا الان وهم يتبعون القاعدة المئوية (كل مائة بنس) يعادل باوناً.

[2] من الواضح ان صاحبنا المؤلف يسخر كذلك بقاعدة العملـــة **الانكليزيـه** القديمـــة، مظـــهراً صعوبتها وتعقيدها هي الاخرى.

[3] تقرأ بضم الحرفين الاولين.

هنالك تعقيد في اسماء مختلف قطع النقد الامريكية، فالسنت يدعى بنساً، (لكن مسميات: نصف بنس، بنسين، ثلاثة بنسات، لا اثر لها) والقطعة ذات البنسات الخمسة تسمى (نيكلة)، والقطعة ذات البنسات العشرة تدعى (دايم) والقطعة ذات الخمسة والعشرين سنتاً هي الربع Quarter، ولتحقيق الانسجام مع باقي الفكاهة، فالقطعة ذات الخمسين بنساً هي النصف Half، والدولار يسمى (دللر) لان الحرف الصائت فيه طويل جداً.

اما اجور الضروريات الاولية فاليك هي:

اجرة ركوب القُطُر التحتية نيكلة واحدة، كذلك هو الحديث التلفوني. وركوب (باص) اجرته نيكلة الا في الرصيف الخامس Fifth Avenue، حيث تبلغ دايماً، واجرة صبغ الحذاء (دايم). ومجلة ريدرز دايجست سعرها ربع! والاسعار اسرار دفينة، فثمن علبة سيكاير ما (ويسمونها باك pack اختصاراً من packet) ثمانية عشر سنتاً في نيويورك، فاذا عبرت نهر هدسن الى نيوجرسي حصلت على العلبة نفسها بسعر ارخص، وفي فرجينيا يهبط الثمن اكثر. وتجد في اغلب الحاجات رقاعا صغيرة تنبي باسعارها رقماً، هذا الرقم يعني ان سعر تلك الحاجة هو كلما تتصوره على ظهر البسيطة الا الرقم المدون عليها! وفي نيويورك ابتعت معطفاً، وكانت عليه رقعة تنبيء بان ثمنه ثلاثون دولاراً، وكان الوقت وقت تخفيض عام sale وخيل لي ان ثمنه سيبلغ بعد تنزيل الخصم اربعة وعشرين دولاراً فقط، فدفعت الى البائع بأربعة وعشرين دولاراً لكنه ضحك في وجهي شامتاً. وكان ان دفعت فوق هذا الثمن دولارين وثلاثين سنتاً ضريبة الولاية، وسبعة وثلاثين سنتاً ضريبة

الاتحاد، وبعبارة اخرى فان معطفاً سعره ثلاثون دولاراً تبتاعه بأربعة وعشرين دولاراً، وتدفع ثمنه ستة وعشرين دولاراً وسبعة وستين سنتاً!

سألني كثير من الخلق عن العيش في نيويورك: اهو ارخص من لندن ام اغلى؟ واذا شئت الحقيقة فنيويورك اغلى بلاد الله ولا يمكن قياس أي مدينة بها، لا لان سلعها غالية الثمن، بل لانك تفقد كل سيطرة لك على نفسك وتبتاع ما يقع عليه نظرك، ما دام في جيبك دايم واحد (انظرشروح الكلمة فيما سبق).

ان كنت ذا ارادة قوية تفلق الصخر وقاومت رغباتك في شراء قلم صنع على هيئة ساقيْ النجمة السينمائية (بيتي گريبل) فستقع في شرك قلم آخر ثبت في رأسه تلسكوب. واذا نجوت من احبولة (نفير) عليه صورة فوتوغرافية لمستر (ليوبولد ستكوسكي)[1] فكن على اتم ثقة من انك ستبتاع من متجر اخر نفيراً اذا نفخت فيه صاح:

- سلامي Salami!

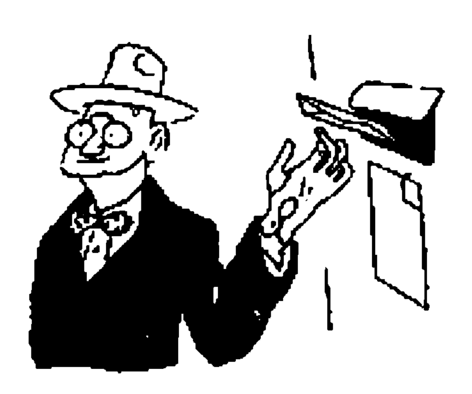
الا ليت شعري، كم تبدو هذه الالاعيب مضحكة في المحال التجارية اكثر مما تبدو وهي في البيت!

انا نفسي، ابتعت من السترات عدداً كبيراً، واقتنيت حوالي نصف دستة من اقلام الحبر الجاف ذوات الريش المدببة، ثم آليت على نفسي الا اشتري شيئاً بعد ان شح ما عندي من مال. وفي اليوم التالي شاهدت ما لا يحصى من اقلام الحبر بشتيت من الالوان (واحدها بثمانين سنتاً) معروضة في نافذة متجر، تدور بها عجلة حمراء اللون زرقاوه، ولو لا تلك العجلة اللعينة لجاوزت الدكان وعلى شفتي ابتسامة النصر، لكن وقع المحذور ولات حين مندم، لم استطع كبح جماح الاغراء

---

[1] من اشهر قواد فرق الاوركسترا، ولد في بولندا وكان قائد اوركسترا فلادلفيا في امريكا.

وابتعت قلمين آخرين اكدت لي رقعة معلقة باحدهما ان حبره لا ينضـــح ولو ارتفعت به الى خمسة عشر الف قدم، وان الكتابة به تحـــت ســطح الماء ممكنة. ولما كنت اقوم بالقسط الاكبر من كتاباتي تحت الماء فقـــد رأيت في القلم لقطة ثمينة. دسسته في جيب سترتي الجديدة فنضح عليــها حبره واتلفها، ولما كان القلم قد نز على ارتفاع عشرة اقدام فقـــط مــن مستوى البحر وليس تحت الماء، فقد ابى البائع ان يسلم بالتبعة.



ما Ma، مي Mi، مو Mo

حال نزولك الولايات المتحدة، ستجد هذه الالفاظ كثيرة التردد وهـــي على الرقع، ومظاريف الرسائل، والصحف. ترى مثلاً "نيويـورك ن. ي" فتسأل: علام يدل رمز (ن. ي N. Y) فيأتيك الجواب على "نيويـــورك" فتحتج على القائل:

– لكنك يا طويل العمر – اثبتــها باحرفــها الكاملــة مــرة وكفــى، فنحن لا نكتب "لندن. ل" ولا "باريس. ب".

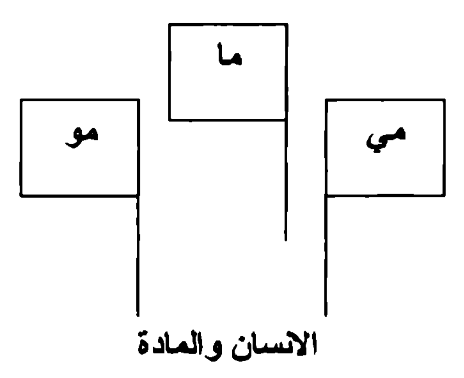
وبمختصر القول، فانت لا تعرف المقصود بحرفي (ن. ي) وهو مدينة نيويورك الواقعة في ولاية (نيويورك) لا في ولاية تكساس، او ديلاوير كما يوحي اليك الاسم!

من المحتمل جداً، لا بل شبيه المؤكد ان توجد مدن بالاسماء عينها في ولايتين او ربما في اثنين وعشرين ولاية، وهذا ما يستدعي اضافة مختصر اسم الولايةالى اسم المدينة او القرية التي تقع في تلك الولاية دفعاً للالتباس. هذه المختصرات اللفظية تؤدي بك الى حافة الجنون. انك لاسعد الناس ما دمت تجهل اسماء الولايات الثماني والاربعين[1]. فقد تجد الحرف الغامض (فا) او (جا) فلا يهمك الامر في شيء، ثم تعلم ان (ڤا) تدل على ڤرجينيا و (جا) تنم عن جورجيا، فتظن انك علمت شيئاً ولست باول من غره السراب، فكثير من اسماء الولايات المتحدة الامريكية تتشابه احرفها الاولى. وثمة ولايات ثلاث تبدأ اسماؤها بحرف الألف، وثلاث تبدأ بحرف السين، وثلاث بحرف الياء واربع بحرف الواو (واعلم ان واشنطن د. س، ليست بولاية) وثمان تبدأ بحرف الميم، وثمان اخرى بحرف النون.

هنالك مختصرات ليس في حفظها صعوبة تذكر، فمختصر (آوهايو) مثلاً هو (أوهايو)، و (آيوا) مختصرها (آيوا)، و (يوتاه) تدل على (يوتاه)! وهذه كلها مختصرات دقيقة. والذاكرة الجيدة لا تتجشم كبير عناء في حفظها، ولو كنت من ذوي الذكاء الفطري فستتبين حتما ان (اريز..) تنوب عن (أريزونا) و (كاليف..) تقوم مقام (كاليفورنيا)، وفي الختام تأتي ألغاز (ما. مي. مو). ان حرف (مي) يسلمك الى حيرة، فتتساءل: اهي تنوب عن (ميشغان ام ميسوري ام مينيسوتا ام ميسيسبي؟)

[1] اصبحت اثنين وخمسين في الوقت الحاضر.

ولا تعلم ما اذا دل اللغز (ما) على (ماين ام ماريلاند ام ماساشوســتس؟) لكنك ما تلبث ان تتنهد ارتياحاً عندما ترى الرمز (مو) فتقول: لا يمكــن ان يقوم الا مقام (مونتانا) فاذا تبينت بعدئذ انه ينــوب عــن ميســوري فالذنب ليس ذنبك!!



الانسان والمادة

يغرم سكان القارة الاوربية والشعب الانكليزي بالمتاع القديــم، وانــا نفسي احفظ في قمطري مختلف الرسائل والاوراق حتى تتكدس اكوامــاً فلا اجد لي مناصاً من نبذها واتلافها مع اهم وثائقي وسنداتي عــادة، لان فرزها يقتضيني وقتاً طويلاً. اما والدة الفقير فلا تفرط في صندوق مــا. وفي سبيل افساح المجال لها، تعمد الى وضع صغيرها داخــل كبيرهــا، والنتيجة انها لا تعثر ابداً على ما تبحث عنه – مع كل هذا فان اكتنــاز هذه الصناديق الصغيرة في البيت، هي عادة من انبل العادات والطفــها، فما اجمل ان ترى في كثير من البيوت حقيبة قديمة تارزة بصور الاسرة او بالثياب البالية او الدانتل الثمين او الامشاط المكسورة العادمة القيمــة او المشابك او النشرات او مناهج المسارح!

ان علاقة نفعية بحتة استحكمت عراها بين الامريكيين وبين حياتهم المادية فمثلاً هم يرون ان المظلة لم توجد ليحتفظ بها على سبيل الذكرى، بل لتكون وقاء من المطر. والانكليزي يتباهى معتزاً بسيارته لان عمرها اناف على احدى عشرة سنة، ولانها قطعت اكثر من ثمانين الف ميل. اما الامريكي فيركبه العار ويغض من طرفه حياء. انه على استعداد تام لابدال سيارته الجيدة جداً بسيارة اخرى حديثة الصنع حباً في التغيير السنوي ليس الا، ومتى استطاع الى ذلك سبيلاً. انه اجهل الناس برقم سيارته نفسها لكونه حرا في استحصال رقم سيارة جديدة كل عام.

اذا امطرت السماء في امريكا، هرع الناس الى المتاجر فابتاعوا ازواجا من الكالوشات المطاطية، الزوج منها بدولار واحد، فاذا انقطع المطر خلعوها وتركوها على قارعة الطريق ومضوا كل لشأنه. ولا يتنازل الى التقاطها حتى الصعاليك انفسهم، على الاقل لاستعمالهم الشخصي.

والمظلات تلاقي المصير نفسه، وان انت ابتعت دار سكنى فكن على اتم ثقة من انك ستجد خير الاثاث متروكا فيه مهملا، من الابسطة حتى السجاجيد (لا تدخل في ثمن الدار طبعا)، وآية ذلك ان صاحب الدار الاسبق لم يشأ ان يتكلف مشقة رفعها ونقلها معه، وتجد في كثير من الاحيان اعلانات صحفية تدعوك قائلة:

"ان كنت تريد بيانو... فاذهب وخذه من المحل الفلاني
فهو ملكك وحلالك"

ويهجر الامريكيون مدنا كاملة على هذا المنوال، فاذا اتمت المدينة الغاية التي شيدت لأجلها (مثال ذلك انتهاء السعي وراء الذهب، او نضوب منجم مجاور للمدينة) اخلاها سكانها، وهجروها بأثاثها وبيوتها

تنعي من بناها. فتجد اطلال المدن في كل زاوية من زوايا البـــلاد. ولا شأن هنا للاحاسيس والعواطف الوطنية السخيفة كمأثورة قولهم:

"انها مدينتي، سواء أحسنت، أم جارت"

[Right or wrong, my own city]

من الثابت المعروف ان الولايات المتحـدة ليسـت بـلادا مسـتعملة Second hand، لذلك لا تثير الاطمار من السـراويل، والقديـم مـن الاسفار أي عاطفة في انفس سكانها. انهم قد يقتنون بعض القطع الاثريـة بين آن واخر، لكن بشرط ان تكون في ...حالة جيـدة!، والتقـاليد؟ ان تقليدهم الدائم هو اقتناء خير الحاجات، احدثها، واكثرها نفعا.

ان ساعات الآباء والجدود قد تعلن دقاتها انتصاف الليل بشكل جميـل عندما يشير عقرباها عادة الى الثانية والدقيقة الخامسة عشرة صباحا، اما ساعاتهم الكهربائية فقبيحة المنظر، لا تاريخ لها، ولا توحي اليك بخيـال شعري، لا نقوش اثرية عليها ولا نفع فيها سوى انها تدلك على الوقـت بدقة تامة!.

كيف تمرح؟

اذا شئت ان تكون اهلا للتمتع بالحياة في الولايات المتحدة، فعليـك ان تصير رجلا رقيق الحاشية، سهل المعشر easy going ومما لا يمكـن نكرانه ان الامريكيين اناس كرماء سمحاء مستعدون دومـا لاخـذ بيـد الاخرين. فمرة، بينا كنت في احدى محطات سكة الشارع[1] اعالج ميلمـة Mailomat (وهي الالة التي تدفع خطابك بطابع بريدي وتغيبـه فـي جوفها) اسقطت (دايمي) في الشق المخصص للسنتات، فحرنت الالة ولـم

---

[1] وهي في الواقع محطة عادية لسكة حديد.. "المؤلف".

تشتغل، فدنا مني رجل وسألني عما يشغلني فاعلمته ورجوته الا يعير الامر أي اهتمام وقلت: سألقي بدايم اخر في الشق المخصوص، وتنتهي المشكلة، فاجابة بصرامة وجد:

- لا يا سيد.

وفي ظرف دقيقتين ضرب الحصار على الآلة، نيف وعشرة رجال، فيهم المدني، وعامل السكة وساعي البريد وتعاورت ايديهم عليها باللطم والهز والضرب واللكم والملاطفة والترويض والركل، حتى استكنت واطاعت بعد لأي واعادت الي (ديمتي). وعند ذلك ارشدوني الى السبيل الاقوم في استخدام الالة، وما لبث ان دخل خطابي المكان المعين له مشيعا بهتاف المتجمهرين ودعواتهم القلبية الصميمة، فشكرتهم على اريحيتهم وادليت بهذه الملحوظة غير قاصد منها شيئا الا التعقيب الكلامي:

- انه لمن المفيد جدا ان يرى المرء خطابا له، تدمغه هذه الالة بطابع بريدي.

والحق ان الله لم يفتح علي بعبارة ابدع واكثر لباقة منها، واذا بأحد عمال البريد يجيبني:

- دقيقة واحدة، وصبرا يا بني![1]

فأدهشني منه أن يناديني بـ "يا بني" اذا كنت ايامها ملتحيا، تركني عامل البريد هذا وعاد بعد ثوان معدودات بمفتاح فتح به الالة وفتش عن خطابي، ولما عثر عليه اعطانيه معتزا فخورا. الحق يقال ان الناس هناك في عجلة من أمرهم، لكنهم مستعدون دائما لأن يقفوا لمساعدة الاخرين وللتسرية عنهم، فلو سألت امرؤا في انكلترا عن شارع، لدلك عليه بأدب، او اجابك برقة تقطر حلاوة:

---

[1] Sonnie وهو تحريف امريكي للتعبير الانكليزي son.

- اخشى اني لا اعرف موقعه.

ان شخصا كهذا في امريكا، يسألك اولا عن غرضك من الذهاب الى ذلك الشارع، وقد تجيبه بانك سمعت عن مسكن خال ربما اتيح لك استئجاره فيسير بك الى المكان المنشود ويكلم المالك عنك ويبرم لك عقد الايجار ويساعدك على نقل اثاثك الثقيل الى الدار ثم يتوارى عن بصرك قبل ان تسنح لك فرصة لشكره بما هو اهله.

ان اول مطالب الحياة عند ملايين الامريكيين هي "المرح" او كما يقولون هم "الحصول على رفسة الى خارج الحياة to have a kick out of life". والمرح مطلب ما به عظيم تعقيد او صعوبة، فالسينما هي اعظم وسائل المرح قطعا والرقص والقمار والتزلج على الجليد والعناق Necking (وهو تبادل القبلات في سيارة مع أي شخص وفي أي مكان وكل وقت) هي المرح نفسه، والنظر الى رسوم مجلة، وشرب عصير البرتقال، هو المرح العظيم. انهم ينسجمون مع كل شيء، ويستطيبون كل شيء. فلقاء [بيتر لور[1]] في عرض الطريق هو الآخر مرح حقيقي، والاصغاء الى مغني نكير الصوت في مطاعم الدرجة الثانية هو ايضا رفسة خارج الحياة (أي مرح)، ومشاهدة اصطدام سيارة جميلة هو الاخر مرح حقيقي يقصر الكلام عن وصفه.

قبل سنين غبرت، كنت اعرف في لندن صبية انكليزية اسمها "ايلين" هذه الصبية قالت لي مرة:

- يتملكنا انا وصديقتي شعور بالمرح غريب لا ندري كنهه فنجلس ونظل نضحك ساعات بطولها دونما سبب.

كثيرا ما فكرت بالصغيرة "ايلين" وانا في الولايات المتحدة!

---

[1] ممثل سينمائي امريكي معروف.

نفي العلاقة

كثيرا ما يشاهد المرء في الصحف الامريكية ما يدعى "ببيـــان نفـــي علاقة". فاذا اتفق ان حصل وهم بين كنية مواطن مستقيم السيرة، حســـن الخلق، وبين كنية مجرم خارج على القانون لمجرد مشابهة بين الاسمين، قام الاول بنشر بيان "نفي العلاقة" في احدى الصحف، حذرا من وقـــوع سوء فهم او خلط، ولنضرب لهذا مثلا:

"اني الموقع ادناه جون هورن، لا علاقة تصلني بجون هورن الذي شنق صباح هذا اليوم في ساحة سجن ماركو"

جون هورن. قبعاتي

في شارع الكنيسة رقم 23

وليست هذه الاعلانات قاصرة على نفي العلاقة بالمجرمين، فكثيرا ما تتعداها الى نفي علاقة باشخاص محترمين في المجتمع هم فـــي اغلـــب الاحيان شخصيات بارزة. الناس هناك يغارون على كناهم ويعتزون بـــها ويحاذرون ان تشتبك بكنى الاخرين فيحصل اشتباه. وكلنا يعلم ان ونستن تشرشل السياسي وونستن تشرشل الكاتب، كانا شديدي الرغبـــة فـــي ان يعرف العالم كله الفرق بين الشخصيتين، ويـــودان جـــهد طاقتـــهما ان يتوصلا الى حيلة او تدبير لتوقيع اسم احدهما بشكل مختلف عن الاخر.

كثيرا ما فكرت ببيانات نفي العلاقة وانا في امريكا.

كنت فيما سبق احد المسؤولين عن السياســـة الخارجيـــة لبريطانيـــا العظمى.وكنت انـــذر واحـــذر مـــن مخـــاطر الاســـتعمار البريطـــاني Imperialism. ثم اشيع عني باني خصم لروســـيا. ثـــم صـــرت ألام وأؤنب لكوني اغالي في موالاتي لها. ووقعت في خطر جســـيم بســـبب سياسة الحكومة البريطانية ازاء فلســـطين وحـــاول بعضـــهم اســـتمالتي واقناعي وتهديدي وتملقي والتضرع الي حتى صرح احدهم بكل حـــرارة:

ان العرب واليهود كانوا سيتفاهمون ويعيشون كالاخوة فيما بينهم، لــــولا السياسة البريطانية التي زرعت في نفوسهم بذور الشقاق والحقد. وفــــي احدى الحفلات، انتحى بي جانبا سيد كبير السن وسحبني سحبا الى غرفة اخرى واغلق دوني الباب وجثا على ركبتيه وصار يستصرخني قائلا:

- اعطها لليهود!!

اثرت بي ضراعته العميقة، وخلوص نيته الظاهرة، حتى اني هممـت باعطائها لليهود لولا اني ادركت في اخر لحظة بـــان علـــي ان اكــون صعب المراس، صلب القناة!

اريد انتهاز هذه الفرصة فأنشر الاعلان التالي لكل من يهمه الامر:

"اني الموقع ادناه، جورج مايكس لا علاقة تصلني بصاحب المعالي كلي الاحترام "ارنست بيفن" وزير الخارجية في حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى

جورج مايكس



الفصل الثاني

مانهاتان Manhatan

المدينة

"مانهاتان" أولا، اسم لكوكتيل ذائع الصيت. وثانيا، اسم لجزيرة تقـــع في قلب مدينة "نيويورك ن.ي" طول هذه الجزيرة ثلاثـــة عشـــر ميـــلا وعرضها ميلان وموقعها في مصب نهر هدسن، وعن شرقها يمتد "النهر الشرقي" الذي يفصل الجزيرة عن "لونگ آيلاند" أي الجزيـــرة الطويلـــة. ومساحة مانهاتان تبلغ (54.4) ميلا مربعا وعدد ســكانها (1.889.924) نسمة. وهي ايضا احدى المناطق الخمس التي تتألف منها مدينة نيويورك (ويفضل ان يكتب الامريكان كلمة – منطقة borough، هكـــذا boro!) اما عند الاجنبي فمانهاتان هي مدينة نيويورك . ولست اريد بهذا الحـــط من كرامة سكان "برونكس وكوينز وريچموند وبروكلايـــن" فنيويـــورك ن.ي، عند الغريب تعني ناطحات السحاب. ان بناية "الامبـــاير ســـتيت"، وصرح "روكفلر" ووسائط النقل الهائلـــة، واعلانـــات النيـــون البـــاهرة والحديقة المركزية، وحي التايمس وهارلم والطرق والشوارع الرئيســـية كله موجود في مانهاتان.

اول من اكتشف نيويورك، ملاح ايطالي اسمه "جيوفاني دي فيرازانو" في العام 1524، وصارت المدينة – واسمها الاصلي نيو امستردام، مـــن جملة الممتلكات الهولندية اذ ان "الشركة الهولندية الجديدة" كانت وحدهـــا

صاحبة الامتياز الذي منحها حق التجارة المطلق. لقي معشر الـــهولنديين مصاعب جمة من هيئة ادارة المجتمع الجديد ولهذا الســـبب وللشـــهامة الانكليزية المأثورة في مساعدة الشعوب المستضعفة، ما لبث الانكلـــيز ان انقذوا الهولنديين من تلكم المصاعب بان استولوا على هـــذه المســـتعمرة بقوة السلاح في القرن السابع عشر وسموها نيويورك بدلا مـــن نيـــو- امستردام. اما جزيرة مانهاتان فقد ابتاعها الهولنديون من الهنود الحمـــر في 1626. يظهر ان اسعار العقار في ذلك الزمن كانت جد بخسة!

بنيت نيويورك على شكل ضيع على السكان كثيرا من الجو المـــرح الذي تعود عليه الانكليز من مدنهم. لقد تم اكتشاف الطرق المتوازية فـــي انكلترا في العام 1923، لكن كثيرا من المدن كـــانت مبنيـــا قبـــل هـــذا التاريخ. ان المدينة الانكليزية ليست مجرد محل استقرار اجتماعي لعـــدد من المتوطنين فهي فضلا عن ذلك لغز محكم. انك لا تستطيع ان تخترق مدينة انكليزية من نهاية الى نهاية، لكن عليك ان تحـــل المدينـــة حـــلا حسابيا. ألا حاول ان تختصر السبيل الى سمتك باختراق منطقة او حـــي غير معروف لديك تماما، معتمدا بذلك على غريـــزة الاتجـــاه التـــي لا تخطئ، وليتغمدك الله برحمته الواسعة! فان واجـــهت طريقـــا مقفولـــة Cul-de-sac، فانت سعيد الحظ والارجح انك تقع فـــي شـــارع اشـــبه بلولب سدادات القناني، فتلث غاديا ورائحا وتتلوى كالحية الراقصة، حتى تجد نفسك بعد ربع ساعة أمام مهمة ثانية تشغلك عن طيتـــك الاصليـــة، هي استنقاذ نفسك من البقاع المجهولة التي ارتدتها رغم انفك.

يحلو للسياح ان يلعبوا بألبابنا ويـــهزوا اعصابنـــا بحكاياتـــهم عـــن الاهوال التي يلاقونها في اصقاع الهملايا. اما انا فلا احس بتأثير لـــها.

فمجاهل الهملايا بسيطة لا إشكال فيها حتى يبني فيها الانكليز بضع مدن بذل في تخطيطها اكبر عناية!

كل هذه المفاجآت، ولذة العيش joie de vivre لا وجود لها في نيويورك. فمانهاتان متخمة بصفوف متوازية من المباني. والممتد منها من الشمال الى الجنوب سمي بالرصيف avenue، اما الممتد من الشرق الى الغرب فقد سمي شارعا street.

والارصفة والشوارع تتميز بالارقام دون الاسماء. في اوربا تسمى الشوارع عادة باسماء مشاهير التاريخ والسياسة، وتشب ثورة كل خمس وعشرين سنة ويحصل تبدل في نظام الحكم، وعندئذ يعاد (تعميد)[1] الشوارع باسماء جديدة. وفي كثير من الاحيان تجترح إثما ان اتت دعوتها باسمها السابق. واحيانا تضيع على ساعي البريد اسماء الشوارع المختلفة. وغلط الناس بالاسماء الجديدة للشوارع التي تقع فيها مساكنهم امر شائع. هذه الصبوات ليست بالشيء في نظر الامريكاني. قد تأتي النظم السياسية وتروح ويستظهر الجمهوريون فيتسلمون مقاليد الحكم من الديمقراطيين ثم تنعكس الآية ويتربع الديمقراطيون على دست الحكم. وقد تستحوذ على السلطة احزاب جديدة، ثم تفقده. وفي كل الحالات لا يحصل تغيير، ويبقى الشارع الثاني عشر، الشارع الثاني عشر، تحت ظل أمعن النظم في الرجعية، كما تحت ظل امعنها في الثورية.

ليس هذا الضرر الاوحد للنظام، فقد يشأ حظك العاثر ان تكتشف "ميدان ألما. ن. 80" اكتشافا. لم يكن لديك أي فكرة عن موقعه فتروح تسأل عنه سبع وثمانين شخصا، فلا يدري احد منهم اين يقع هذا الميدان

---

[1] مراسيم دينية مسيحية يجري فيها اعطاء الوليد اسمه الذي يعرف به.

بالضبط. ان سائقي الباصات الذين قـــادوا سـياراتهم عـبر الشـوارع المجاورة له مرارا، خلال ثمان وعشرين سنة، هم الاخرون لم يســمعوا به. كذلك الناس الذين يخترقونه طولا مرتين يوميا، لا يعلمون سوى انه يقع في جهة ما قريبة: ربما الى أمام، وربما الى وراء، إما الى اليســار، وإما الى اليمين! ولكم يكون عجيبا ان تجد نفسك وبعد بحــث ســاعتين، وفي الوقت الذي صممت ان تعدل عن قصدك نهائيا، انك قـــد مــررت بميدان "الما" عشر مرات على الاقل اثناء دورانك هــذا، مــن غــير ان تدري. والعلة في ذلك:

(1) اما انه لا رقاع هناك تنبيء بالاسماء الجديدة او (2) ان الرقـــاع الجديدة التي كتب عليها اسم "حدائق ولزلي"، قدم العـــهد بـــها فطمســت معالمها ولم يعد بامكانك ان تتقراها البتة.

انك لتحس بنشوة الظفر ولتشمخ بانفك تيها حين تقـــع علــى ميــدان "الما"، لكن الا ليت شعري من من اهالي نيويورك يحس بنشوة الظفــر حين يجد ان الشارع التاسع والسبعين يقـــع بيــن الشــارعين: الثــامن والسبعين والثمانين؟ الا فليبن البريطانيون مدينة ذات شـــوارع مرقمــة وليحاولوا ان يجدوا الشارع التاسع والسبعين فيها!

ان التأثير البريطاني قد سجل في نيويورك انتصارات موضعية علــى كل حال. فشارع برودوي Broadway St.[1] ينــم عــن كــل مظــاهر الاستقلال في الروح البريطانية، فهو اسم لا رقم وليس مستقيما وانما هو متعرج منحن كثير الالتواءات كالافعى ذات الاجراس الغريبة الاطـــوار يمتد بطول جزيرة مانهاتان. انك لتسير في الرصيف الســادس وعندمــا تصل الشارع الثلاثين ترى برودوي عن يمينك. ثم تأتي الـــى الشــارع

---

[1] هو شارع الانس والصبوات في نيويورك.

الاربعين فتجد برودوي عن يسارك. ولدى وصولك "سنترال بارك ساوث–Central Park South" يقرر برودوي ان ينعطف غربا عطفة حادة. ويعبر خط الشارع الحادي عشر، ويسير منعطفا مرة اخرى شرقا، بوسعك ان تلعب مع شارع برودوي لعبة "الاستخفاء" hide-and seek[1] المؤنسة وثق ان برودوي هو الغالب دائما.

ان اسلوب هندسة المدن الانكليزية، قد يحرز بعض درجات النجاح بخصوص الارصفة ايضا، فاذا استبدلت الاسماء بالارقام، فالمنطق يقضي –اذ ذاك– ان يلي الرصيف الثاني الرصيف الاول، والثالث الثاني، وهكذا دواليك. ان اعتقادا كهذا، هو من السذاجة بمكان، فبين الرصيف الثالث والرابع، تأتي ارصفة صغيرة فائضة عن الحاجة تتوالى كأنما تدس دسا او تهرب تهريبا بين الارصفة وتعرف باسم الجادة "lexington". ان نصف الرصيف الرابع يسمى "الرصيف الرابع"، اما الجزء الاعلى منه فيدعى "پارك اڤنيو"، وبين الرصيف الرابع والخامس توجد ظاهرة متعبة اخرى، الا وهي "رصيف ماديسون"، ثم يقوم "برودوي" بين الرصيفين الرابع والحادي عشر. وما كان يدعى قديما " بالرصيف السادس" يسمى الان "رصيف اميركاز" لكنك لن تسمع من فم انسان لفظة "رصيف اميركاز" كما انه لا يوجد تصريح رسمي يعترف بوجود سابق او لاحق لما يدعى بالرصيف السادس! ان احدهم ليرشدك الى سمتك بقوله "انك لتواجه الرصيف السادس" لكنك لن تجد الرصيف السادس مهما بحثت، بل ستجد مكانه "رصيف اميركاز" وهذا بدوره لا وجود له في خريطتك!

---

[1] لعبة مشهورة يقوم بها بعض الصبيان، بان يختفي سائرهم ويقوم يبحث عنهم واحد من اترابهم وهو معصوب العينين حتى اذا امسك باحدهم حل محله. وهكذا فهي لعبة اختفاء وبحث.

مما لا شك فيه ان ارتباك هذه "الواحات" يجعلها في اعين القادمين الانكليز شيئا طريفا مستحسنا. لكن جميع المحاولات التي تبذل لاصلاح الحال تمنى بالفشل والخيبة على كل حال، فقد وقع اهل نيويورك في خطأ اساسي وهو انهم خططوا مانهاتان تخطيطا هندسيا منطقيا! فكل الجهود المبذولة بعد هذا ضائعة لا محالة مهما كانت صادقة نبيلة القصد! لقد خلصت مانهاتان في اخر لحظة من فرصة صيرورتها "سوهو"[1] ثانيا.

اياك والقطر التحتية!

الامريكان اناس دائمو الحركة، فهم يفضلون التشوش الحركي على التشوش الثابت. من حقك وانت في نيويورك ان تعرف بالطبع اين انت، لكنهم شيدوا نظاما معقدا ضخما للقطر التحتية واضعين نصب اعينهم غاية واحدة وهي: عليك ان تتعلم كيف تخرج من المحل الذي انت فيه الى أي محل اخر. اما الباصات فتقوم بواجبات احتياطية، ولقد صرح لي صديق امريكي حديث الجنسية قائلا "انه كثيرا ما ضلل عن قصده".

قد يكون التنقل بالسيارة سهلا بعض الشيء، لكن لا احد يستعمل سيارته في نيويورك. فالناس الذين يستعملونها هم من الكثرة بحيث ترهص حركة السير وتجعلها بطيئة بشكل لا يطاق، لذلك وجب عليك ان تركب الباص.

اعتدت ركوب الباص المرقم (4) من محطة بنسلفانيا لبلوغ "الرصيف الخامس". وفي احد الايام، وانا في "رصيف لگزنگتن"،

---

[1] حي سوهوSoho هو اقذر احياء لندن يسكن فيه الوضعاء والمبتذلون والمجرمون وفيه احط الملاهي ومحافل الرذائل.

اكتشفت باصا آخر رقمه (4) كذلك، فركبته، لكن بدلا من ان يقلني الى "الرصيف الخامس" لفظني في مكان ما من منطقة "ميدل ويست". صار السائق يضحك عندما شكوت له حالي، لاني -كما قال- ركبت الباص المرقم (4) الخاص بلگزنگتن، لا الباص المرقم (4) الخاص بالرصيف الخامس. وعلمت فيما بعد ان لديهم في المدينة من الباصات المرقمة (4)، ما لا يحصى عدده. وهكذا فبمهارة لا تجارى في الاقتصاد والتقتير، يدخرون ارقاما تجمع في نهاية العام وتمنح لجمعيات البر والاحسان بمثابة مبلغ اجمالي. في اليوم التالي حزمت امري على تجريب المسالك التحتية، فرأيت قطارا منها كتب عليه (الشارع التاسع والاربعون) وكان هذا الشارع بغيتي. فركبته واستغرقت في مطالعة جريدتي ولم انتبه الى نزول الركاب جميعا في المحطة التالية الكائنة في الشارع الثاني والاربعين. وهكذا بقيت وحيدا لا جليس معي، سار بي القطار شوطا ووقف وشرع يحول سكته (chanting) منكفئا على اعقابه زهاء اربعين دقيقة. ومر بي منظم السير ثلاث مرات او اربعا وانا في وحدتي الكئيبة فلم ينطق بحرف. ولما اقبل مرة خامسة ابتدرته قائلا:

- متى نبلغ الشارع التاسع والاربعين ؟.

فقهقه جذلا واجابني :

- الشارع التاسع والاربعون؟ نحن لا نقصد الشارع التاسع والاربعين وما الذي يدعونا الى ذلك؟.

قلت:

- معذرة يا سيدي فأنا لا اجبرك على الذهاب اليه قسرا، لكني شاهدت رقعة مثبتة على هذا القطار تدل على ان الشارع التاسع والاربعين هو قبلته وخاتمة مطافه، وهذا ما أنبت في رأسي الفكرة

السخيفة وهي ان القطار ربما توجه الى الشـــارع التاسـع والاربعيـن، فكانت غلطة وأنا أقرّ بها..

فضاق بكلامي ذرعاً واجاب محتداً:

- الناس كلهم يعلمون بضرورة التبديل بالقطار الثاني والاربعين.

- هذا ما لا علم لي به.

فقال حانقاً:

- الا تعلم؟ كم لك وانت في نيويورك؟

- يومان فقط.

فصاح صيحة الظافر:

- يومان؟ اذن لا يمكنك بطبيعة الحال ان تعلم!

* * * * * *

واتيح لي سؤال موظف القطار التحتي المرتبط بمحطـــة الرصيـف الثامن، عن كيفية الوصول الى "كولمبوس سركس" فقال باسماً:

- اركب القطار من هنا، فيبلغ بك "كولمبس سركس".

فركبت القطار "من هنا"، ووصلت الشارع الرابع والثلاثين ثم الشارع الثاني والاربعين ثم الشارع الخمسين، ولما كان "كولمبس سركس" فـــي الشارع التاسع والخمسين فقد حسبت ان اموري تسير على ما يرام، ومن هنا بدأت المحن الشداد تترى: بلغنا محطة اســمها "الرصيــف الســابع" وغادرناها ثم بلغنا الرصيف الخامس، ثم "لگزنگتن اڤنيو"، ثم سرنا ثانيـة زهاء ربع ساعة دون وقوف، واخيراً وصلنا الشارع الثالث والعشــرين، ثم حاضرة لونگ‌ايلاند [Long Island City] التي تقع فـــي النصـف الشرقي من المدينة وهنا بلغت روحي التراقي فخرجت وشرحت امــري لموظف فاسترعى جانباً كبيراً من اهتمامه، واوضح لي انه كان يجـــب

علي ركوب القطار المُعلَم بحرف [A] بدلاً من القطار [E] او القطـــار [E] بدلا من [A] او القطار [A^A] بدلا من القطار [FZ]، فقلـت وقـد اسقط في يدي:

- لكن كيف يمكنني استيعاب ذلك؟

فأجابني ببسمة مشمخرة ارتسمت على شفتيه:

- كل امرؤ يعلم ذلك.

ثم تولى عني وسار ضاحكاً مني في سره.

* * * * * *

هذه الاسرار التي احيطت بسياج من الكتمان الشديد والحراسة الدقيقـة كانت ستنفضح منذ زمن بعيد جداً لولا اتخاذ احتياطات اخرى.

(1) ففي اغلب الاحيان لا يرقمون خطـــوط المحطـــة، وان فعلـوا فبطريقة تجعل الترقيم يضلل الركاب البسطاء السليمي النية. ان الطريـق التحتي للرصيف السابع يسمى في محطة ما "الطريق التحتي للرصيــف السابع" لكنه يسمى في المحطة الثانية "خط I.R.T" وكل امرء يعرف ان هذه الاحـــرف الثلاثـة هـي مختصـر لاسـم Interboro Rapid Transportation System أي نظام نقل الركـــاب الســريع الداخلـي (واعلَمْ ان حرف (T) هو مختصر آخر كلمتين من الاسم!) وهـذا هـو الاسم الشائع لخط الرصيف السابع، وانك لتجـد فـي الشـارع الرابـع والثلاثين، خط B.M.T، اما قطارا الرصيفين الثامن والسادس، فكثـيراً ما يسميان "Ind. Subways" ومعناه القطر التحتية المستقلة (ومختصـر Ind، يقوم مقام Independent) وليس هذا الا اسلوباً مراً قاسـياً فـي افهام الناس بان هذا الخط ليس مستقلاً لان كل خطوط القطر التحتية هـي ملك المدينة!

(2) ان خرائط القطر التحتية تحفظ في حراسة دقيقة كالاسرار الحربية الدفينة تماماً. فلا يمكنك ان تجد خريطة قطار تحتي في أي محطة من المحطات. ربما وجدت خرائط داخل عربات القطار. وهناك فقط يمكنك ان تتبين أي قطار تحتي كان عليك ان تركبه بدلاً من هذا الذي ركبته فعلاً. هذه الخرائط توضح لك الخط الذي تسير فوقه ليس الا، فاذا اردت ان تتحول عنه، فلك ملء الحرية في ان تختار أي خط جديد، متى اردت وانى شئت!

في نظام القطر التحتية النيويوركية، توجد طرق متوازية للقطر المحلية والقطر السريعة. ان القطار المحلي يقف في كل محطة، اما القطار السريع فيقف في المحطة الخامسة او السادسة. وقد اعتدت السفر بالقطار السريع دائما، مبررا ذلك في نفسي هكذا: ان كنت في كل الاحوال اجهل المكان الذي سأبلغه فخير لي على الاقل ان اصل الى ذلك المجهول باسرع ما يمكن!

كيف تكون غطريسا؟

اكثر الامريكان يبغضون الانكليز لانهم كما يقولون، يقفون من سائر البشر موقف المتعالي الفخور بعنصره المعتز بجنسه. ان الانكليز لم يخلقوا مدنية خاصة، كما خلق الاغريق الاقدمون وعصر النهضة في ايطاليا (Renaissance). وغاية ما في الامر ان أنهم حملوا راية المدنية الغربية في بضع عشرات السنين الاخيرة، كما يحمل جنتلمان قروي كيس مظلته. انهم لم يلوحوا بها، او ينشروا امجادها المؤثلة وافضالها العميمة وكل ما يفعلون يفتحونها في اليوم المطير ويرفعونها فوق رؤوسهم بكل هدوء يستظلون بها وحدهم اولا وقبل كل شيء ثم

يسمحون بالتالي ان ينضم اليهم أي شخص يهمه الاحتماء تحتـها. انـهم يضحكون ملء اشداقهم من اولئك الاغراب وهم يـتراكضون حواليـهم مرتبكين، فزعين عراة الاقدام ينتفضون تحـت زخـات المطـر فـلا يتفضلون على هؤلاء المساكين بنصيحة او ارشاد.

هذه المظلة قد تكون لطيفة الشكل نوعا ما، لولا سوادها الحالك، فما ضر الانكليز لو طرزوها بدارات حمراء او زرقاء، او نقشـوا عليـها صورة امرأة عارية بين آن وآخر؟

* * * * * *

هذا التعالي العنصري لا وجود له في امريكا قط، فلا احد يسـتصغر الاخر. والرجال والنساء كلهم سواسية كأسنان المشط خـلا المسـتثنيات الاتية:

هناك عدد كبير من سلالة الانكلوسكسـون يـزدرون سـائر افـراد المجتمع. اجداد هؤلاء قدموا الى امريكا على ظهر السفينة "زهرة أيـار Mayflower". ومرة فخر احد أناسي (زهرة ايار) على احد اللاجئيـن، بعراقة اصله، فأجاب اللاجئ قائلا:

– لكني حللت امريكا عندما كانت تسود الهجرة اليها، رقابـة دقيقـة وقيود شديدة!

وطاب لاحدهم ان يقول مرة:

– ان اجدادي عبروا البحر على ظهر "زهرة ايار".

فرد عليه اخر:

– ولقد كان اجدادي من اعضاء لجنة الاستقبال (ما معناه ان المتكلـم هو من الهنود الحمر!).

وللمعلومات نقول، ان "ميفلاور" أي زهرة ايار، هي سفينة ضخمة حمولتها خمسة وثمانون الف طن، قامت برحلات لا تحصى بين ساوثمبتن وبلايموث-نيو انكلاند، وبهذا وحده يمكننا ان نعلل كثرة الناس الذين عبروا البحر المحيط بها![1]

- فضلا عما تقدم، فكل البيض يحتقرون الخلاسيين.
- كل الخلاسيين يحتقرون الزنوج.
- كل اسكنديناوي الاصل يحتقر الالماني الاصل.
- كل الالمان يحتقرون شعوب اواسط اوربا.
- كل شعوب اواسط اوربا تحتقر الطليان والاسبان والارمن والفرس.
- كل الاسبان والطليان يحتقرون الايرلنديون وشعوب اواسط اوروبا.
- كل الشعوب المذكورة اعلاه تحتقر اليهود.
- كل اليهود يحتقرون ما عداهم كافة.
- كل الامريكان يحتقرون سكان نيويورك.
- كل سكان نيويورك يحتقرون سكان منطقتي "ميدوست ووايلد وست".
- كل سكان الشمال يحتقرون سكان الجنوب.
- كل الجنوبيين يحتقرون الشماليين.[2]

---

[1] ايضاحا للفكاهة نقول ان هذه السفينة الصغيرة اقلعت من ميناء بليموث عام 1620 مقلة (102) راكبا بيوريثانيا من الجنسين هربا من الاضطهاد الديني في انكلترا. وبعد رحلة امدها مئة يوم رست على صخرة بامريكا، وسلالتهم تعرف هناك بالنيو انكلنديين.

[2] هذا التقسيم اوجدته الحرب الاهلية الامريكية التي نشبت بين ولايات الشمال وولايات الجنوب سنة 1861 في عهد الرئيس لنكولن، فصار اهل الولايات الشمالية يسمون Yankees وسمي الجنوبيون Southerners. وبقيت هذه التسمية الى الان مع ما ولدت الحرب من آثار وحزازات.

- كل المهاجرين يحتقرون اللاجئين (والمهاجر هو اللاجئ الذي دخل امريكا قبيل العام 1933، واللاجئ هو المهاجر الذي دخل بعد هذا التاريخ).
- كل اللاجئين يحتقرون اولئك الذين وصلوا امريكا في سفينة رست بعد سفينتهم، واذا جاءت فئة على ظهر سفينة واحدة، فمن كان الاسبق في النزول الى البر صار يحتقر اولئك القادمين من زملائه الذين فحصت امتعتهم بعده بقليل.
- كل الاشخاص "المواطنين" يحتقرون اولئك الذين لم يحصلوا بعد على اوليات وثائق التجنس، وهؤلاء الاخيرون يحتقرون بدورهم "اشباه الزائرين" الذين يتسللون الى امريكا ويحاولون الاستقرار ثمة.

يسهل علينا الاستنتاج من كل هذا أن النصيب الاكبر من الاحتقار العام ينصب على رؤوس "الزنوج اللاجئين الذين لم يحصلوا الا على رخص اقامة الزوار، انتهت مدتها ولم تجدد!".

كيف تسيطر طائفيا ؟

نيويورك، هي ثاني اكبر مدن العالم، لكنها بلدة اقليمية، وليست عاصمة الولايات المتحدة، بل ليست حتى عاصمة ولاية نيويورك.

نيويورك في عرفنا، مدينة امريكية، لا شائبة في نقاوتها الامريكية. ولقد حاول الكتاب ان يعرفوا الوطن على ضوء الاسس العنصرية والاحوال التاريخية والاقتصادية، فجانب الاصابة اكثرهم واخفقوا، لان الولايات المتحدة وسويسرا تشذان عن كل التعاريف المبينة على الاسس السالفة. واراني اميل الى تعريف الوطن بانه: ذلك الصقع الذي يجتمع فيه اناس يقرأون صحفا واحدة، ويصغون الى برامج اذاعة واحدة، ويمارسون العابا واحدة، ويمسكون بشوكاتهم وسكاكينهم بطريقة واحدة.



سعيد بروَيتكم

من هذه الوجهة كانت نيويورك امريكية مائة بالمائة، ومع ذلك وفـــي الوقت نفسه تجد عدد البريطانيين القاطنين نيويورك يربو على ما يســـكن منهم في مدينتي "برايتـــون وبركنـــهيد" الانكلـــيزيتين، ويســـكنها مـــن الايرلنديين ما يكاد يبلغ عدد سكان "دبلن"، ويزيد ما فيها من الالمان على ما يسكن في "كولن". وفيها من البولنديين ما يفوق سكان "كراكاو". ومـــن النمساويين ما يربو على ما في "سالزبرغ". ومن الهنغاريين مـــا يعـــدل سكان "سزيكيد". ومن الروس ما يزيـــد علـــى ســـكان "كييـــف". ومـــن الطـــليان ما ينوف على سكـــان "نابلي". ومن الزنوج مـــا يزيـــد علـــى سكان جنوب افريقيا. ومن اليهود ما يعدل خمسة اضعاف ما يوجد منـــهم في فلسطين

* * * * * *

ان اسلوب عيش امريكي نيويوركي، يهيمن على سكان البلاد جميعهم بصورة عامة، لكن تحت هذا الاسلوب العام يكمن الاسلوب الخاص لكـــل جنسية من اجناس السكان ويماشي الاول خطوة خطوة. ففي اليوم الثـــاني من وصولي نيويورك قصدت منها الجـــانب المســـمى "مدينـــة الصيـــن Chinatown" وانا اسير الهوينا. ثم دخلت متجرا فتلقاني البائع الموظف –وكان جالسا يحادث صاحبة المتجر الصينية– وصار يحدثني بتلك اللغة الامريكية الساذجة الصريحة:

- ايهودي انت؟ لأنك اشبه باليهود!

وعاد يروزني ويصعدني بنظره ثم هتف قائلا:

- لا، انت لا تبدو كذلك، ولكن تلوح لي كلاجئ.

فاحنيت رأسي موافقا وقلت:

- شكرا.
- ثيابك تنم عن كونك لاجئا.
- دون شك (وكنت مرتديا افخر بذلاتي الانكليزية).
- ما قصدت الاساءة.
- ما استأت!.
- انا نفسي يهودي.

قلت بلهجة المتعجب:

- اصحيح؟
- اكيد وانا فخور به.

التفت الى المرأة الصينية، وقبل توجيه طلبتي اليها استأنف البائع حديثه:

- ما هو اصلك؟
- انا فخور كذلك!
- ثق اني اعني ما اقول، ما هو اصلك؟.
- انا زنجي بولندي.
- لكنك ابيض البشرة.
- اجل ابيض، لكن ليس بالبياض الذي ترى.
- ابيض تام البياض.
- الا تعلم ان الزنوج الاوربيين بيض البشرة؟

فلم يبد عليه الاقتناع وقال:

- لا تمزح، متى وصلت هنا؟
- امس.
- امس فقط؟ لكنك تنطق بانكليزية فصيحة خالية من العجمة.

- كنت اعيش في لندن.
- في لندن؟ ايتكلمون الانكليزية مثلنا؟
- انكليزية سقيمة.

قلتها بصرامة واقفلت باب الحديث.

* * * * * *

كل طائفة من هؤلاء الاجناس استقلت بمنطقة واستقرت ثمة، ففي يوركفيل مثلا تجد رقاعا على الدكاكين مكتوبة بالالمانية، وتجد الصحف الالمانية معروضة على قارعة الطريق، ورقوقا سينمائية في دور سينما ناطقة بالالمانية. اختر أي شخص وبادئه الحديث بالالمانية وسيجيبك بهذه اللغة ولن تخطأ في ذلك باكثر من واحد في العشرة. والمتاجر الكبيرة في تلك المنطقة لا تستخدم مساعدا ان لم يكن ملما باللغة الالمانية الماما جيدا.

هذه المظاهر والمفارقات تنطبق على كل منطقة قومية. إن ادرت عقرب مذياعك ببطء فستسمع اذاعات تجارية باللغات: الاسبانية، والاسوجية، والعبرية والارمنية وعشرات من اللغات الاوربية والاسيوية الاخرى.

وفي نيويورك من مهرة الصناع ما يصنع كل شيء تشتهيه وتطلبه من المطاعم والدكاكين. تجده تحت متناول يدك ورهن اشارتك فثمة ثياب مما يرتديه قرويو رومانيا، وثمة زجاج فينسي، وسمك مشوي على الطريقة المرسيلية، وسجق ايطالي، وبيرة بيلسن Pilsen[1]، وكل هذه الحاجات والآكال، تقليد يزري بالاصل.

---

[1] بيلسن مدينة جيوسلوفاكية مشهورة بجودة بيرتها.

* * * * * *

الغالب ان اولاد هؤلاء الاقوام المختلفين يتقنون اللغة الامريكية، لكنهم لا يتكلمون الا لغات امهات اجدادهم الى الجيل الثاني او الثالث منهم. انك لتجد اناسا في نيويورك بلغوا الخامسة والسبعين ولم يتخطوا حدود المدينة مرة واحدة، ومع ذلك فلا يتكلمون الا بالرطانة الاوكرانية من اللغة الروسية، او باللهجة السويسرية من اللغة الالمانية.

وتقع بين آن وأخر حوادث عجيبة غير منتظرة ابدا، منها ان اخي – وهو بعد جندي- كان يسوق سيارته مرة في جهة ما من برونزويك –نيو جرسي (وهي مدينة تضم عددا كبيرا من الهنغاريين)، فضل السبيل وتوقف امام احد البيوت يسأل صبيا زنجيا ان يهديه الى الطريق العام فنكص الصبي على اعقابه وسار، ثم فتح بابا ونادى امه بهنغارية سكان شرقي الدانوب الصميمة: "اماه تعالي عجلى، فهنا جندي".

* * * * * *

كل هؤلاء القوم، مواطنون امريكيون، او انهم في سبيلهم اليها. والحق يقال انهم يطوون حبا واثرة لبلادهم الام، لكن اخلاصهم للولايات المتحدة لا يرقى اليه الشك، ولحسن الحظ انه لا يوجد ثمة وطنية من النوع الذي قد يلحظه المرء في ايطاليا لما بعد الحرب مثلا.

انا ما سمعت ولا قرأت في امريكا حرفا عن "وطننا المحبوب المقدس". قد يأتون احيانا الى ذكر "البيرق الامريكي"، لكنهم لا يفتأون يلهجون بحبهم "اسلوب العيش الامريكي" الذي هو في نظرهم مسألة كرامة وشرف، لا مسألة ذوق كما هو عندنا نحن الانكليز. انهم ليشكرون ابدا ذلك البلد الذي منحهم: الحرية مع العنب. وأمن لهم

مستوى معيشة رفيع، ومع الهزليات المصورة Comic Strips، ووفـــر لهم العمل مع اللبان. ومن عليهم بابراهام لنكون مع فرانك سيناترا[1].

وكل هؤلاء مواطنون لا شائبة في مواطنتهم، الا (333.000) هنـدي احمر هم –ان صدق حدسي– من الزوار ذوي الاقامة المؤقتة!



كيف تبتاع حاجاتك؟

في امريكا (كما هو الحال في انكلترا) ترى الدكاكين والرقع والنوافـذ كلها لا يختلف بعضها عن بعض مهما اختلفت القرى والبلدان. ولكن هذا لا يعنينا، فالشراء فن قائم بذاته وعليك ان تتعلم تدريجيا وتدرس درســا، الامكنة التي تحصل منها على مختلف حاجاتك. ان كنت جائعا فـــاقصد الصيدلي. والصيدلية في الولايات المتحدة تسمى مخزن الادويـــة Drug Store وهو محل شعبي، ومحل شعبي لا نظير له. في (مخازن الادوية)

[1] ممثل سينما ومغن ذو قابلية جيدة ومع ذلك فهو على ما يقال محبوب الامريكيات.

الكبيرة قد تجد ادوية، لكن عملها الاساسي هو بيـــع الكـــاغد والمربـــى واللعب والاحزمة والحمالات واقلام الحبر والاثاث والحلي الزائفة. وفـــي كل دكان من هذه الدكاكين، سماط Counter ذو كراس عالية منتشـــرة على طوله. هناك تباع انواع العصير والقهوة والآيس كريمice cream والخبيصة المثلوجة sundaes[1] والسندويج والبيـــض، المطجـــن منـــه والمقلي وانواع اخرى من مطبوخاته.

تعرف صديق لي من اهل هوليوود بالارشيدوق "اوتـــو هابســـبرغ" المطالب بعرشي النمسا والمجر. كان هذا الامير -كما علمـــت- شـــابا كامل التهذيب رقيق الشمائل للغاية دعك من ولعه الشـــديد بـــان يعـــامل كملك. في صباح احد الايام قدم هذا الصديق لزيارة "اوتو" فـــي فندقـــه، فاستقبله المرافق العسكري aid-de-campe معلنا بلهجة فخمـــة، ممـــا يستخدم اثناء الاحتفالات الرسمية:

- ان صاحب الجلالة يتناول افطاره في الصيدلية!

* * * * * *

اذا ما احتجت الى لفائف تبغ، فاذهب الى بـــائع الثيـــاب. واذا كـــان حذاؤك بحاجة الى صبغ فعليك بالحلاق. وان اردت راديـــو فـــاقصد أي دكان شئت. وان طلبت حقيبة ثياب، فالصيدلي قبلتـــك. امـــا اذا شـــئت ارسال برقية، فاياك والبريد فالابراق اللاسلكي تتعهده شـــركات اهليـــة خاصة. كذلك دوائر البريد الحكومية، فلا علاقة لها البتة بامور التلفـــون لان التلفون تدير شؤونه وتمـــد اســـلاكه "شـــركة التلغـــراف والتلفـــون

---

[1] نوع من انواع "الآيس كريم" يخبص معه افلاذ الفاكهة ويصب فوقه الشربت.

الامريكية الاهلية". في امريكا لـــن تجـد "حمامــات عامــة" بالمفـــهوم الانكليزي. فمحلات الاغتسال والاستحمام هي مـــن قبيــل "المشــاريع الخصوصية جدا" في الولايات المتحدة لا يصح الجهر بالحديث عنها.

كل ما تبتاع يمكن استبداله فيما بعد باي حاجة اخرى مـــن المتجــر نفسه. وهذا الامر عند الامريكان اعظم فرصة لتمضية الوقــت، ففريــق كبير من الناس لا يشترون "حاجات" في الواقع، وانما "يحصلون" فحسـب على مواد اولية لمقايضاتهم بالثمار الصناعية لتأخذ عوضا عنها ثمـــارا حقيقية، او قبعة حقيقية. ولا غضاضة علـــى احدهـم ان اعــاد مـبردة كهربائية معتذرا بغلطته، لاســتبدالها بمشــاركة فــي مجلــة "ريــدرز دايجست"!

ولا حاجة بك الى تحديد مواعيد شرائك بدقة زائــدة، لانــك ســترى بعض الدكاكين النيويوركية مفتوحة طوال الليل. اما المتاجر الكبيرة ذات الاقسام العديدة، فتظل مفتوحة الابواب للشارين حتى التاسعة مساء مــرة واحدة في الاسبوع. وانه ليسهل عليك ان تظفر بوجبة طعام في أي وقت من اوقات الليل والنهار. ان اقمت في بيتك حفلة ساهرة وقـــررت فـــي الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل ان تصيب شـــيئا مـــن الموسيقى، فبامكانك ان تنزل الى السوق الكائنة في المنعطف المجـــاور وتشتري بيانو. وسيصل دارك في ظرف نصف ساعة. ولو اشتقت فجـأة الى لعبة "الكولف" في الساعة الثالثــة والدقيقــة الخامســة والاربعيــن صباحا، فمن السهل عليك (لو شئت) ان تبتاع كرات وصولجانا. اني مـــا زلت حائرا في تقرير مصير غطاء رأس من الريش مما يرتديه الـــهنود الحمر كنت قد ابتعته صباح احد الايام من قرية "كرينويش" في الســـاعة

الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة، كان اغرائي سهلا بالفرصة المؤاتيـــة، فلم استطع كبح الرغبة واشتريته.

وعليك ان تلتزم جانب الدقة الشديدة في تسمية حاجات معينـــة، فـــاذا طلبت حمالة سروال من دكان صغير، اعطيت زوجا من مشدات الرسغ. واذا طلبت زوجا من السراويل التحتية، اعطيت ســـــرولا طويــلا. واذا سألت عن مشد رسغ، قوبلت بنظرة غريبة.

ومما لا يفوتني ذكره هو ان المصعد lift سمي في الولايات المتحـدة بالرافعة elevator. فاذا كنت راجلا طالب نقلـــة hitch-hiking فلــن تطلب من اصحاب السيارات المنطلقة "رفعة" بل "صعدة".

ويختلط على الافهام مدلول كلمة. "فلات: flat". ففي امريكا هو مـــا يطلق عليه تعبير apartment أي بناية للسكن، ويستخدمون تلك الكلمـــة للدلالة على انفلاق التاير tyre "ويكتبونــــها tire" وبنـــاء علـــى ذلــك فاعلان: "عمل الفلات flat fixed" لا يدل على وكالة عقارية تؤجـــرك دارا بل تدل على الكراج المخصص للحام الثقب في اطار سيارتك، ولــم ار مثل هذا الاعلان الشائع الا مرة واحدة، وكان معلقا فوق دكان لبيـــع الكورسيات.

ان الشعار العام لهذه الدكاكين هو هذا:

"في اتحادنا نقف... وفي تفرقتنا نسقط"

في الطريق

يمكنك -على ما اعتقد- ان تضع أي سيارة انكليزيـــة صغـــيرة فـــي صندوق الحقائب الخلفي للسيارة الامريكية الاعتيادية، بدون عظيم مشقة.

كانت سيارة انكليزية معروفة الطراز لكن صغـــيرة الجــرم بعــض الشيء، لا تزيد قوتها على ثمانية احصنة معروضة في احـــد حوانيـــت "الشارع الثاني والاربعين". ومن تقاطر الناس وتجمهرهم الدائـــم علـــى نافذة العرض ومن قهقهاتهم المتواصلة عند نظرهم اليها، خيل لي ان هذا النوع من السيارات، محبوب مرغوب من السكان اجمعيـــن، ولتعلـــم ان الشارع الثاني والاربعين في نيويورك هو شارع المعارض يعتاض بـــه الناس عن السينما، بان يقضوا ساعة او اثنين امام نافذة هذا الحـــانوت، حتى اذا نالوا كفايتهم من الانس والبهجة آبوا الى مغانيهم فرحين.

"التفرج على السيارة" هو مادة من مواد برنـــامج ارتيـــاد الامـــاكن الخلوية، والمتنزهات ذات المناظر الطبيعية، لله درها من مادة!

آلمني جدا اني سمعت احد الجنود المسرحين الذين خدموا في انكلـــترا ايام الحرب، يشرح ما خفي من امر هذه السيارة لاصدقائـــه المتســكعين فيقول:

- هذه الاشياء الصغيرة ولا يخفاكم تسير في الشـــوارع الانكليزيـــة، فيالضيعة العدل والانصاف! انها لا تستأهل اكثر من زقاق. حرام عليـــهم ان يدعوها تفارق الازقة والارصفة.

تحدثت الى خبير في السيارات، انكليزي الموطن، كان في الحـــانوت وهو في اغلب الظن ذو علاقة بالمعرض وصرت اقرعه تقريعا واقســـو في عتبي:

- أي غر مأفون ذاك الذي جاء بهذه السيارات الى الولايات المتحـدة، وهو لا شك يعلم ان ثمنها لا يقل بأي حـــال عـــن ثمـــن ســـيارة "شفروليت" بقوة ثلاثين حصانا؟

فاجابني:

- ان اقبال سكان البلاد عليها لا بأس به.

فقلت مستوضحا:

- تعني سكان بريطانيا العظمى وارلندا الشمالية؟

- لا، انما عنيت سكان ولايات عديدة من هذه البلاد، فهم يتهافتون عليها في اوريگن Origon مثلا، ويفضلونها على كل سيارة.

قلت: الآن ادركت قصدك. وهذا ما دعاك اذن الى عرضها في نيويورك ياللفكرة الصائبة فكرتك هذه فنيويورك تبعد عن اوريكن، بعدها عن لندن!

فوافقني على كلامي بانحناءة وقال:

- لقد اصبت كبد الحقيقة، اصبتها والله اما ترى ان المسافات في هذه البلاد تحير العقول؟

* * * * * *

قيمة الفولاذ في الولايات المتحدة اوطأ مما هو في انكلترا واساليب الانتاج الواسع النطاق، اقل نفقة بكثير. كذلك قل عن الزيت، فثمنه بخس (وهذا اهم ما في الامر، فاستهلاك هذه السيارات الضخمة من الزيت كثير جدا) وليس ثمة ضرائب على الطاقة الميكانية وما على المرء الا ان يدفع مبلغا محدودا يتناسب وزنة السيارات. هذا المبلغ يجبى منه سنويا وقت تجديد اجازة السيارة، وهذه كل التبعيات المفروضة.

حجم السيارة في امريكا يعدل حجم ماكنة القطار. ففي كل منها مذياع ومقدحة للسكاير، ومدفأة كهربائية، ومعدلة هواء، وجهاز اضواء كهربية ظاهرة وخفية، واغطية مقاعد من النايلون ونوافذ تتحرك بقوة الكهرباء،

ومقاعد لولبية يمكن بسطها وتسطيحها لاستخدامها بمثابة اسرة نوم. وهم يقومون الان بتجارب عديدة ترمى الى الحاق مجاري المياه الحارة والباردة بها، وتجهيزها بالحمامات: كحمام لقدمي السائق ايام القيظ وتزويدها بمهبط وبرافعة "ونش" ليوفروا على الراكب عناء استعمال قدميه في الدخول والخروج. كل هذه الاختراعات والمحدثات وهم ما زالوا حائرين في ايجاد طريقة مناسبة لوضع محرك السيارة في محل ما غير محله المعروف.

الله من هذه المحركات، ما افظعها! في نيويورك وغيرها من كبيرات المدن، لها من المقدرة ما يجعلها تحبو بسرعة لا تزيد عن ثمانية اميال في الساعةالواحدة دون جهد اوعناء (في الواقع لا يوجد ثمة سرعة هي بطيئة بالنسبة لها) وتبلغ الصعوبة غايتها القصوى في الطرق العمومية خارج العمران. لان ضبط النفس والحذاقة الحقيقية والقوة والعزم، كلها امور ضرورية واجبة للحيلولة دون انطلاقها بسرعة هائلة. والولايات التي تجيزك سرعة فوق الخمسين ميلا في الساعة، هي خمسة عشر فقط. وقيود السرعة هذه، لا يمكن خرقها او العبث بها في أي ولاية مهما كان السبب. وفي "واشنطن د.س"، لا يحق لك ان تجاوز خمسة وعشرين ميلا في الساعة. اليس مما يدهشك ان تفكر بالسرعة الهائلة التي يمكنك ان تنطلق بهذه السيارات لو ملكت ذلك؟

ليس في السيارات الامريكية الحديثة ما يدعى "بالسلف starter" وبعبارة اخرى فان "السلف" قد دمج بناظمة البنزين (gas pedals) فاذا ضغطت على ناظمة البنزين بقدمك، دار المحرك، وانه والله ليدور!

سألني صديق امريكي: ايوجد "سلف" في سيارتي الانكليزية فاجبته:

- اوه.. كلا، ليس في سيارتي "سلف"...

ثم ادرت دفة الحديث الى موضع اخر. اني ذكرت له الحقيقة وليس كلها لان "سلف" سيارتي كان قد انكسر منذ سنة تقريبا، وكلما شئت استخدام سيارتي، اغناني "الهندل handle" عنه. ليس هناك "سلف" وثم ماذا؟ وما المانع ان لم يوجد "سلف" ما دمت بالغا غايتك، فأي ضير عليك ان استخدمت واسطة دون اخرى!

* * * * * *

لكل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية قانونها الخاص في تنظيم حركة وسائط النقل الآلية، الامر الذي لا يزيد في سعادة حياة السائق ابدا. ففي ولاية "آلاباما" عليك ان تقدم طلبك مجددا اجازة الرقم السنوي في اليوم الاول من شهر تشرين الاول. اما موعد الطلب في "اوهايو" فهو اليوم الاول من آذار والموعد في ولاية نيويورك هو اليوم الاول من كانون الثاني. وفي "لويزيانا" لك ان تسوق السيارة وانت في سن الرابعة عشرة وفي "فيرمونت" يجب ان لا يقل سنك عن الثامنة عشر. وفحوص السياقة مختلفة في مكان دون آخر. واجازة السوق في ثلاث ولايات غير مشروطة ابدا وفي امكانك ان تسوق بكل حرية. وفي بعض الولايات لك ان تبقى سيارتك لمدة تسعين يوما باجازة الرقم القديم التي استحصلتها من مسقط رأسك. وتنخفض هذه المدة في ولايات اخرى الى ما لا يزيد عن خمسة وعشرين يوما ولكن هذه عراقيل طفيفة والخطر الحقيقي الاعظم يلوح عندما تقوم بالتفافة اليو (U-turn) مثلا، اثناء سوقك سيارتك داخل ولاية غريبة (والتفافة اليو هي الاستدارة الكاملة في الشارع) وقد لا يسمح لك باكثر من التفافة الواي (Y-turn)! (وهي ما

اشبه بحركة نول الحائك: تتقهقر الى الخلف ثـــم الـــى الامـــام. (وهـــذا المصطلح لا وجود له في لغتهم وقد اخترعتـــــه اختراعـــا، لانـــي ارى ضرورة استحداثه). ثم قد تزج في الحبس مساء السبت وتبقـــى موقوفـــا حتى صباح الاثنين بزعم ان (صاحب الشـــرطة Sheriff) قـــد غـــادر المدينة لقضاء عطلة الاسبوع، او ان مهامه الكثيرة تشغله عن البت فـــي امرك. وصباح يوم الاثنين، لك ان تختار احد امرين (كقاعدة عامـــــة!): اما ان تغرم دولارا واحدا او عشرين او خمسين او مئة، واما ان تنتظـــر قرار محكمة اعلى من محكمة (صاحب الشرطة) والعقبة الوحيدة التـــــي تنتظرك في الامر الثاني هو انتظار حكم المحكمة وانت سجين.

ركب صديق لي سيارته في الساعة الثالثة والدقيقة الرابعـــــة عشـــرة من ظهر نهار سبت، قاصدا مدينة "اتلانتا-جورجيـــــا" لشـــراء بضعـــة اقراص من "الاسبرين" لزوجه، فلم يعد الا في الساعة الحاديـــــة عشـــرة والدقيقة السابعة عشرة من صباح نهار الاثنين بدون اسبرين لانه انفـــــق كل ما في جيبه من نقود على "التفافة يو U" باهظة الثمن، لكنها مســـلية جدا!

ان تغريم السائقين "الاجانب" هو دخل مضمون ثابت لبعـــض المـــدن فضلا عن كونه مسلاة لتزجية اوقـــات الفـــراغ. ويحبـــذ الكثـــير مـــن الناس ان يقوموا بقطع مسافة طولها اربعون او خمسون ميلا ليتحاشـــــوا المرور بمدينة معينة، لما يعلمونه من كلف "صاحب شـــــرطتها" بعطـــل الاسبوع الطويلة. ولقد عرفت سيدا محترما الجأته هذه الحال الى شـــراء طيارة كان يستخدمها للانتقال من مدينة قريبة الى دائرته، صبـــاح كـــل

يوم، لان الفضاء (في هذه الاونة على الاقل) خال من "العساكر" أي من شرطة مرور الولاية.

* * * * * *

الطرق الامريكية خير الطرق في العالم فهي واسعة معبدة مريحة شقت خلال المدن الكبيرة والاراضي البراح في البلاد جميعاً على حد سواء. انك لن تجد فيها اشارات ضوئية، ولا تقاطعاً في مكان ما، فالتقاطع محدث اما فوق الطرق العمومية واما تحتها. اما المسالك الثانوية على الجانبين، فهي تمتد كذلك، اما الى فوق، واما الى تحت.

وربما كان ايواء السيارات في نيويورك اصعب بكثير مما هو في لندن. والشرطة في كلتا المدينتين هدف لنقد مرير، لان ايقاف السيارات يزحم الطرق ويسدها. ولقد استنبط موظف حاد الذكاء من شرطة نيويورك، حلاً لهذه المعضلة، بان منع ايقاف السيارات في عدد من الشوارع. وسرعان ما اقتبست لندن هذا المشروع وطبقته. والناس يعلمون الان بانهم ممنوعون من ايواء سياراتهم في شوارع معينة، ولكن اين يضعونها. يهز افراد الشرطة اكتافهم كمن يقول: "في القمر فسحة كبيرة!". ان كراجات نيويورك نفسها مكتظة بالسيارات الى حد التخمة. لكن محظور بتاتاً ان تبقي سيارتك في الشارع طول الليل، وعلى كل حال فاذا ضاقت الكراجات بالسيارات، رخص لها آنذاك ان تبقي الفائض منها في عرض الطريق، ونشأت عن هذا، الحالة الاتية:

"انك تدفع للمرأب اجوراً عالية لتستظل سيارتك بسقفه اثناء الليل. ومقابل تلك الاجور لك ان تبقى سيارتك في الشارع!".

اللغة

استقر الرأي منذ حوالي مائتي سنة على ان تكون اللغة الانكليزية لغة التخاطب الرسمية في الولايات المتحدة، ونحن لا ندري لماذا لم ينفذ هـذا القرار الاجماعي حتى الان؟

معجم
اللغة الامريكية

Dictionary
Of the American
Language

كيف تفلس؟

حيثما شعرت بانك ستنحدر الى هوة الافلاس، فامض في هذا الطريق غير هياب ولا وَجِل. ليس في الافلاس معرة، ليس فيه حتى مـا يدعـو الى اللوم او التوبيخ. لا شك في ان النجاح هو مقياس لقيمتك الشـخصية ومقامك. لكنك لن تبلغه ما لم تعمل بعزم ومثـابرة. ومـن المعـروف الثابت لكل امريكي ان عدداً من تجارب الحياة مقدر لها الفشل على كـل حال وان اساس الحياة التجارية الامريكية هو الائتمان او الثقـة Credit، ولا اسهل عليك من نيل تلك الثقة! من ابسط الامـور ان تفتـح ولنقـل: دكان حلاقة عصرية فيها من الكراسي خمس وسبعون مع مجففات شـعر

وغسالات شعر وآلات تدليك وجهاز للاشعة البنفسجية وآلات جراحية لا تحصى بحيث ان حلاقا او اثنين (غير ماهرين في الحلاقة) يستأصلان اللوزتين والمصران الاعور بثمن أبخس مما يستأصلها لك المستشفى المجاور. اجل من السهل فتح امثال هذه المعاهد والمؤسسات بالائتمان، لكن يجب عليك ان تدفع الاقساط المستحقة في أجلها المحدود او فأقرأ على نفسك الفاتحة. واعلم انك لن تؤول الى الخراب بالمعنى الانكليزي او الاوربي لهذه الكلمة ففي القارة الاوربية الخراب يعني الخراب واحتمال النجاة ضعيف محدود جدا. لان الناس الذين يمتهنون عملا واحدا يعرف بعضهم بعضا قلت تلك المعرفة او كثرت. فليس ثمة الا امل زهيد في القيام من الوقعة. ومختصر القول ان الامر يتطلب من المفلس جدا ونشاطا وعنادا وتحديا للزمن فائقا للعادة. في انكلترا يصعب على المفلس احتمال التبعة الادبية من وقيعة الافلاس، لان الشخص الذي لا قدرة له على الوفاء بتعهداته ومواجهة مسؤولياته، يشعر غالبا انه انسان عاثر. في امريكا البلوتوقراطية[1]، المال يعني المال بكل دقة وصراحة. اما في انكلترا، فالمال في عرف الطبقة المتوسطة الحديثة هو النعمة التي لم يعد بالامكان شفاء تلك الطبقة من دائها العضال هذا ومعناه المنزلة الاجتماعية العالية. فالافلاس يعيدها الى الواقع المؤلم وهو ان تلك المنزلة قد شيدت قبل كل شيء على المال، وعلى المال وحده. لذلك كان للافلاس عادة تأثير ادبي مدمر. و"حالة افلاس وقتية" عند الامريكي لا تعني اكثر مما يعني "اليوم النحس السيء الطالع" عند

---

[1] البلوتوقراطية: هو حكم طبقة الاغنياء في النظم الاغريقية القديمة.

الانكليزي. اليوم يوم نحس وربما كان كذلك اليوم التالي او بعـــده. لكـــن من يدري ما في طيات الغيب بعد اسبوع لا بأس انـــا لـــه منتظـــرون.. الحياة التجارية بصورة عامة هي حياة قائمة على الصدق والامانــــة ولا غير، والامر واحد في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، ولكن كـــل مؤسسة لاقراض المال معرضة بلا شك الى نسبة مئوية محــــدودة مـــن الخسارة، فصاحب دكان الحلاقة المذكور، ان لم يستطع دفـــع الاقســـاط المستحقة انتزعت منه المكائن الفضية اللامعـــة ولـــف جـــهاز الاشـــعة البنفسجية وما فوق البنفسجية بكل عناية ونقلا من الدكـــــان. امـــا عـــدة الجراحة فترسل الى المستشفى المجـــاور. ويبتســـم الحـــلاق الســـابق و "يهونها على نفسه!" وربما راح بعد بضعة اشـــهر يبيـــع المثلـــوج فـــي الشارع او يصبغ الاحذية او يقوم باي عمل اخر، كأن يصير معلقا فـــــي الاذاعة اللاسلكية للشؤون الخارجية، ثم يجرب حظه ثانية فـــي صناعـــة العسل وبيعه في الخراطيم، او يعمل في انتاج اسمدة زراعية او اصـــدار مجلة في علم النفس، ولست ارمي بهذا الى ان كل مثر امريكي يجـب ان يفلس مرتين في السنة ولكن احداثا من هذا النوع قد تقع لما لا يحصـــــى من الناس بين آن واخر.

قد تمر سبع وثلاثون سنة على شخص وهو يعمل في احد المكـــاتب. وفي سبت ما يخطره رئيسه فجأة بانه ما عاد في حاجة الى خدماتـــه ولا ضرورة لدوامه نهار الاثنين القابل. اما قضية الانذار ودعك من التقاعد، فلا تدخل في الحسبان. وقد تزدهر احوال رجل بوصفه رب مصنع ظـــل عشرين سنة وهو ينتج معجون اسنان، فيستيقظ صباح يوم ليجـــد نفســـه

مشغولا في محاولة انشاء مشروع تجاري صغير لتصدير ثياب الاطفال الداخلية الى شيلي.

امريكا تدعى بالبلاد ذات القوى اللامحدودة ولقد سمعنا الكثير من الحكايات عن صباغ الاحذية الشاب الذي صار "منتج الفولاذ الحكيم، الطيب القلب صاحب المئتين من الملايين" او ملك المبردات او قطب الصحافة العتيد. لكن من النادر جدا ان تسمع بذكر وجود اتجاهين مختلفين في كل طريق من هذه الطرق ذات القوى اللامحدودة فمن الضروري ايضا ان يسجل التاريخ المجيد لصاحب الملايين الشاب الذي بدأ حياته قطبا من اقطاب الصحافة، او ملكا من ملوك المبردات وانتهى بأن صار صباغ الاحذية الشيخ الطيب الحكيم.

كيف تموت؟!

اعظم مسلاة في الولايات المتحدة هي ان تموت. فالموت اولا سلوى عظيمة للجنائزيين الذين يجنون منه ارباحا طائلة، وهو ثانيا سلوى للموتى انفسهم، لانهم يصيرون فجأة، فهم محور الاهتمام وبؤرة الرعاية. والصحف الامريكيةمثقلة باعلانات الجنائز واليك نماذج منها:

- صلاة جناز، تشرح لك الصدر وتهديء من روعك ابد الدهر.
- صلاة جناز تجد فيها متعة حقيقية.
- جنازة فخمة.
- تشييع جنائز مريحة.
- تشييع، يسعد اسرتك عدة اشهر.

- جنائز لا تمحو ذكرها الايام ابدا، بقيمة بخسة لا تزيد عن مائة وخمسين دولارا. مثلها مع أجثال مستوردة من جنوب البلاد بمائتي دولار. مثلها مع سعفتي نخل، بمائتين وخمسة عشر دولارا.
- جنائز باضواء من "النيون" المختفية وغرف مؤثثة على طرز لويس الرابع عشر.
- اقصدونا، وسندفنكم على خير ما تشتهون!!

والناس يتقاطرون زرافات، يتبادلون الرأي في جنائزهم الخاصة بلذة واستمتاع. يختارون التابوت (يؤخذ مقاسهم اولا لهذه الغاية) وينتخبون الزخارف التي تنقش عليه والتراتيل التي تنشد اثناء التشييع وينتقون فسائل النخيل التي تعرض بهذه المناسبة ويتداولون في الحنوط وكيفيته .. الخ. وهم يدفعون النفقات كلها بالاقساط منتظرين متشوفين الى ذلك اليوم الاعظم.

لا اود شرح تفاصيل هذه الصناعة المكروهة المزدهرة وان كان في بشاشة الجنائزيين وخفة روحهم ما يحببهم ويجذبهم الى القلوب. انهم رجال الاعمال الوحيدون الذين لابد لكل البشر على ظهر البسيطة من مراجعتهم. فهم ينظرون الى الشيوخ شزرا وفي جوانحهم اطمئنان الكافر الزنديق. وان المرء في الوقت نفسه ليلمح في اعينهم بريق الامل في ان يزينوا الجنازة باجثال مستوردة من الجنوب وبسعفتي نخيل.

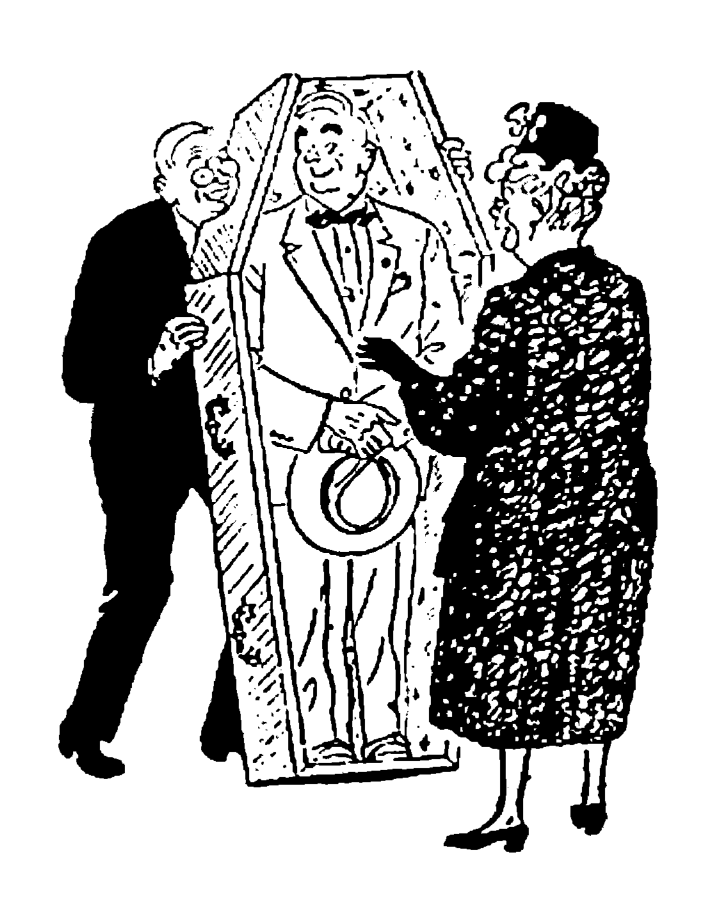
- ولا يفوتنا ان صناعة غسل الاطباق ليست بالصناعة الوحيدة التي لا يحتاج المرء لاتقانها الى كثير من الذكاء والخبرة الفنية كلما املق ورمحه الدهر عنه وارسله الى الدرك الاسفل. فبأمكانك ان تحترف متى شئت صناعة "تشييع الجنائز". والجنائزي يدفع لك نسبة مئوية قدرها 25%، وقائمة اجوره هي كالاتي:

- تقف قريبا من النعش برأس منحن ووجه حزين كاسف: الاجرة خمسة دولارات.
- الحالة السابقة مع دموع بين الفنية والفنية: الاجرة عشرة دولارات.
- الحالة السابقة مع بكاء وعويل وشق جيوب: الاجرة خمسة وعشرين دولارا.
- بخمسة وسبعين دولارا عليك ان تقذف بنفسك الى القبر بعد التابوت مباشرة.
- مهما يكن من امر، فامثال هذه الطلبات قد تناقصت في الايام الاخيرة (لان الاجور عالية بشكل خرج عن المعقول).

الاعلانات

اني لعلى استعداد للرهان معك بانك من السذاجة بحيث تعرف الاعلان بانه فن إقناع الناس بمزايا سلعك الشهيرة وترغيبهم في تفضيلها على السلع الاخرى وان تظل ثابتا على ماركة تجارية ازاء الجمهور. ان كنت تعتقد ذلك فانت واهم لا بل على ضلال مبين. فالاعلان كما قرأت في مكان ما هو: فن اقناع الجمهور بانهم في حاجة الى سلع معينة لا حاجة لهم بها فعلا وفي جعلهم يضيقون ذرعا بكل ما عندهم من اشياء وفي تنغيص عيشهم وطرد السعادة عنهم.

في الاعلانات الامريكية صفة آلهية، وهي موجودة في كل مكان. انها تملأ اعمدة الجرائد وتغطي الجدران، وهي في قوائم الطعام وعلى بريدك اليومي، وفي النشرات وعلب الكبريت، انها تذاع من المكروفونات، وتعرض في السينمات، وتضيء كهربائيا، وتكتبها



الأ ترى "يا المر"... انه مناسب لحجمك تماما!!

الطيارات في لوح السماء، وتهمس بها الشفاه من نافذتك وانت تغط في نومك، فتحلم بمعجون الاسنان واصباغ الاحذية ورغوة الصابون.

اذا غضضنا الطرف عن مسألة "التجاريات Commercials" وهي الاعلانات التي تذاع على شكل اغان من الراديو، فقد وجدت ان الطرق الرئيسة المستخدمة في الاعلان من اجل شقاء الناس وتعاستهم هي خمسة:

1) الترديد:

ان سمعت ان هذه الاحرف الخمسة "ت. ج. م. ل. س" لاول مرة، فستبقى ساكنا ولا تستولي عليك الدهشة، ان "ت. ج. م. ل. س" وهو مختصر الاعلان التالي:

"التبغ الجيد معناه لكي ستر ايك"

فتقول: وثم ماذا؟ انه امر لا يستوجب الضحك، وما به شيء من الفكاهة، امر عادي سخيف لا طعم له في الواقع، ثم تبحث في صحيفتك عن الخطاب الاخير لرئيس الجمهورية، فلا تجده، وتعثر عوضا عنه على هذه الاحرف الخمسة "ت. ج. م. ل. س" وتركب القطار التحتي، وتستغرق في تفكير عميق محاولا ان تجد جوابا مفحما ساحقا لخطاب مهم مزعج تسلمته، فلا يمكنك ذلك، لانك ستجد الاحرف الخمسة هذه أنى ارسلت طرفك.

وتسري في احد الشوارع وحيدا خاليا الى نفسك مشغول الفكر بحبك وعلى حين غرة، يبهر عينيك اعلان ضوئي من النيون الساطع "ت. ج. م. ل. س"، وتريد ان تنظم قصيدة في متاع هذه الحياة الزائلة فلا يفتح الله عليك الا بخمسين مرة ومرة من هذه العبارة "التبغ الجيد معناه لكي ستر ايك" وان اردت استظهار الالفباء فثق ان لسانك سيزل هكذا:

- أ، ب، ت، ج، م، ل، س.

وهنا قد يكون الاعلان قد ادى رسالته على اتم وجه. فـــتروح تقســم الايمان الغليظة وفي المكان الذي تقف، بانك طالق ثلاثا من الدخان وانك لن تضع في فمك لفافة تبغ واحدة من ماركة "لكي سترايك" مهما حـــدث في المستقبل، ومهما امتد بك العمر في هذه الحياة.

2) البراهين المنطقية:

للاعلانات منطقها الخاص، فهي توحي اليك بانك ستظل شابا جميــلا محبوبا ان استعملت عصارة البرتقال الفلانية، وانك سترث مبلغا كبـــيرا من عمك الغني اذا لبست الثياب الفلانية. وانك ستتعلم اللغات الاجنبيـــة بسهولة لو قصرت استعمالك على نوع معين مـــن عصـــير الطمـــاطم المخلل. والناس اذكى من ان يصدقوا هذه المزاعم السخيفة بطبيعة الحال غير انهم يقولون:

- لا ريب وان ثمة شيئا ما في الموضوع، فلم لا نجرب؟

ولما كان وارثو المال الطائل من أعمام لهم اغنياء يلبسون عادة نوعا خاصا من الثياب الداخلية ولما وفق بعضهم الاخر الذي يستعمل نوعـــا خاصا من عصير الطماطم المخلل في تعلم الفرنسية بسهولة، فســـرعان ما ينهض الدليل بان الاعلانات على غرابتها نطقت بالحقيقة الذهبية!

3) الاغراء بما يشبه العلم:

لكلمة "علوم" ومشتقاتها، تأثير السحر في الامريكييـــن. ارفـــع هـــذا الاعلان "تدليك فروة الرأس" ولن تجد له أي تأثير، فاذا حورتـــه هكـــذا: "تدليك علمي لفروة الرأس"، اختلف الامر جدا، ومهما يكن، فاياك والظن بان "عالما" سيقوم بتدليك فروة رأسك!

اخترع منتج لنوع من اصباغ الاحذيـــة صيغـــة الفعــل "ليلـــر". ان الاصباغ الاخرى تلمع حذاءك وتجعله جميلا انيقـــا، لكـــن الصبـــغ E "يليلره"، وهذه الكلمة لغو ولا معنى لها، لكن من الواضح جـــدا ان كـــل امرئ يفضل "ليلرة" حذائه على تنظيفه فحسب. انا "مليلـــر" احذيـــة بليـــد نوعا ما لكن الاغراء كان شديدا فلم يسعني الا ان "اليلـــــر" حذائـــي! ان كنت تملك خمسين الف دولار بغية انفاقها، فبوســـعك اقنـــاع النـــاس ان معجون "اتلانتس"، انما "يزيتر" الاسنان، بينما مفعول المعجونات الاخرى قاصر على تنظيفها، وان سائر اشكال الصابون تغســـل الثيـــاب، بينمـــا تتعدى مهمة صابون اتلانتس الى كبلرتها. فكان (الاسياد) من الامريكـــان يفضلون قضاء اوقاتهم في "الليلرة، والزيـــــترة، والكبلـــرة، والكســـترة، والسجورة، والبسترة، والزغبرة"[1]، على قضائها في الغسل والتنظيف.

ومما جرى على هذا المنوال، اسلوب في الاغراء ثان وهـــو التـــأثير على عقول الجمهور بالارقام والاحصاءات الخادعة، فتقـــول مثـــلا: ان دهان الارضية المسمى "أمالدا"، اكثر تلميعـــا للارضيـــة مـــن الدهـــون الاخرى بنسبة 42 بالمئة. وما يصرف من طاقة في استعمال مـــا يقـــل بنسبة 37 بالمئة عما يبذل في استعمال الادهان الاخـــرى. فـــاذا خطـــر لاحدهم ان يسفه دعواك بقوله ان السخافة التي ينطوي عليها هذا الزعـــم لا تنطلي على طفل في الرابعة من عمره، ابتســـمت ابتســـامة المشـــفق الرائي العليم ببواطن الامور وقلت شارحا: ان هذه الصفات والميزات قـد ثبتت "علميا"، فان لم يتبدد شكه او يقتنع ببراهينك، فقل له: "واعظم دليـــل

---

[1] هذه الكلمات طبعا لا معنى لها وقد اخترعناها اختراعا جريا على اختراع المؤلف نفسه افعـــالا لا وجود لها وذلك اكمالا للنكتة.

على ذلك هو ان الدهون الاخرى تنظف الارضية فقط، اما دهن امالدا (فيبلترها!)[1].

4) مجد ضعفك:

كان في انكلترا معمل لانتاج اللبان "العلك" لا يستعمل الا طعوما صناعية بدل الطعوم الطبيعيةالمستخلصة من الازهار. وبعد حين علم الجمهور بواقع الحال فكسدت سوقه. وعلى حين غرة ظهرت اعلانات ضخمة جدا تفيد بان اللبان (س) هو الوحيد الذي يستخدم في تركيبه طعوما صناعية حقيقية وهكذا وقع خيال الناس في الشرك المنصوب، والان فقلما تجد امرؤا يستعمل غير هذا النوع من اللبان!.

5) الدين:

في الاونة الاخيرة صار الدين في امريكا من الامور المألوفة جدا في ميدان الاعلان. فالكنائس والبيع تعلن عن نفسها بقولها مثلا:

- تعال الينا، وستنقذ روحك من نار الاخرة، فضلا عن انك "ستستلمن" (وفعل استلمن هو الآخر لا وجود له في اللغة)، لكن النقطة ليست هذه، فللدين قوى هائلة لا يرقى اليها خيال واني لانقل هنا مقولة صغيرة نشرت في جريدة امريكية ايام كنت ثمة، وأراها في غنى عن أي تعليق:

"ان موريس س. سمث الاصغر رئيس الشركة، استأجر في الاسبوع الماضي الاب المحترم (ديل. د. دتن) من كنيسة غنية تتبع المذهب المعمداني وقلده منصب نائب رئيس شركة احذية برستول - فرع الدعاية. العمل: ان تكون الشركة حسنة المعاملة كما يفترض فيه ان يديرها.

---

[1] وهي الاخرى كلمة مخترعة كسابقتها ولا معنى لها.



"ثم ان سكاير "كاميليا" تزيد من طولك"

- صدق او لا تصدق!

الراتب (100.000) دولار. الوحي: ان التعليمات لا تأتيه من الشـــركة بل من الله تعالى... ونحن لا نتوقع ان نبيع المزيد من الاحذية بسبب هذه المخاطرة التجارية".

اذا هبط معدل البيع، فانفق المزيد من المال على الاعلان، لكن ايـــاك وتحسين بضاعتك، لانه لا يبقي لك مالا كثيرا لتنفقه على الاعـــلان، واذ ذاك "ستسلير" وربما "تليلرت" الى الابد!.

امبراطورية اوبرات الصابون

لكل بلد، الاذاعة اللاسلكية التي تناسبها، وان تطبيقك هذا المبدأ علـــى الولايات المتحدة ينطوي على اهانة عظيمة، واني لاستعجل القول بـــان الولايات المتحدة تستأهل مؤسسة لاسلكية ارفع بكثير من المؤسسة التـــي تمتلكها الان، فالاذاعة الامريكيـــة اشـــبه شـــيء "بمقلـــوب" المرســـح الشاكسبيري. في ايام شكسبيركانت اروع التمثيليات الدرامية العالميـــة تمثل بابسط وسائل الفن المرسحي، وفي اثير امريكا اليوم تذاع اســـخف الكتابة بابدع الوسائل الفنية.

هناك اربع شبكات رئيسة للبث اللاسلكي وهي:

اولا- الاذاعة الامريكية التعاونية، وتعرف اختصارا بأي بـــي ســـي (ABC)، وهي تتألف من اربع محطات بـــث كبـــيرة و 215 محطـــة فرعية.

ثانيا- منظمة اذاعة كولمبيا، ويشار اليها بالحروف (CBS) وهـــي تتألف من سبع محطات كبيرة و 157 محطة فرعية و 123 محطة تذيـــع لامريكا اللاتينية فقط.

ثالثا- منظمة الاذاعة التعاونية، وتعرف بأم بي سي (MBC) وهي تتألف من 329 محطة.

رابعا- وهناك اخيرا شركة الاذاعة الوطنية المعروفة باحرف (NBC) وتتألف من ست محطات كبيرة و 153 محطة صغيرة و 162 محطة تذيع لامريكا اللاتينية. وفضلا عن هذه المجموعات فهناك محطات محلية يتعذر احصاؤها وهي تذيع بعدة لغات اخصها الانكليزية. ان عددا لا يستهان به من هذه المحطات ذو نفوذ كبير واهمية قصوى، فلمحطة محلية في نيويورك او شيكاغو او لوس انجلوس، عدد من المستمعين قد يبلغ بضعة ملايين على اقل تقدير.

ان اجازات محطات الاذاعة (اصحاب الاجهزة البيتية العادية لا يقتضي لهم اجازة!) تصدر من مجلس الارتباط الاتحادي وهو لا اكثر من هيئة المفروض فيها انها تدير اعمال جميع المحطات اللاسلكية وتحقق الانسجام فيما بينها وتشرف عليها الى حد ما. في احد الايام خطر لهذا المجلس ان ينتقد المجازين بتشغيل المحطات انتقادا عنيفا فكانت النتيجة ضجة صاخبة عارمة مؤداها ان "حرية الكلام" قد تعرضت للخطر الداهم!! وهكذا فكلما انتقد اتحاد شركات تجارية او فرضت القيود على بعض "حقوقه" ارتفعت عقيرته بالشكوى والتظلم من ان حقا رئيسا من "الحقوق الشعبية" قد هتكت حرمته واحدق به خطر عظيم.

ان الميزات الرئيسة للاذاعة الامريكية هي:

1- الراديو هو ضجيج مزمن مستمر في امريكا، حتى ليبدو وكأن جميع راديوات البلاد تفتح طوال الوقت. واذا علمنا ان 34.6% من السكان يملكون اجهزة راديو مقابل 18.8% في المملكة المتحدة

(بريطانيا والدومنيون)، فعليك ان تتصور مبلغ الجلبة الهائلة التي تحدثها. هذه الجلبة متواصلة وهي تصدر بلا انقطاع من المنازل والشوارع والحوانيت والمطاعم والسيارات الخاصة والتاكسيات، ومن كل مكان. والأقدار ابت الا ان تسمعها أرغبت ام كرهت.

2- ان الرأي العام واذواق الجمهور، والثقافة الشعبية تتحكم في قيادها شركات (الملينات الطبية) وشركات (الصابون والجبن والسيكاير)، هذه الشركات تستأجر فترة زمنية في الراديو وتحاول خلالها اقناعك بان (ملينها) اطيب مذاقا واقوى مفعولا وابخس ثمنا واجمل منظرا من أي (ملين) اخر في الدنيا. ولاجل سد الفراغ بين اذاعتين تجاريتين، فهم يستأجرون بعض المضحكين فيطلقون عددا من النكات الباردة لا يضحك لسماعها الا اصحابها. ضحكات عميقة تخرج من ملء قلوبهم. هناك السيد [بوب هوپ] والسيد مورگان طبعا، وهناك قلة اخرى غير هذه ممن يؤنسونك حقا لكنها فئة قليلة والنادر لا يقاس عليها.

يمتدح هذا الاسلوب بوصفه "الحرية الكاملة الحقة"، والقائمون بامره يهتفون هتاف الاعجاب والفخر قائلين (لا رقابة ادارية ثمة، لا رقابة على الاذاعة!"، ومهما يكن من امر فان بعض المطلعين لاحظوا بعد سنوات، ان الهدف الحقيقي لشركات الملينات هو تصريف المزيد من هذا الدواء على الناس، سواء إحتاجوا اليه ام كانوا في غنى عنه، كل ذلك لرفع المستوى الثقافي في البلاد. وهم من هذه الناحية قد بلغوا النجاح المأمول وكانت النتيجة "الاذاعة اللاسلكية الامريكية".

3- كل شيء قد "تهوير hooperated" فمنظمو برامج الاذاعة وكتابها يعتمدون على احصاءات السيد "أي. سي. هوپر" نصف الشهرية المسماة "بمعدلات هوپر hooper ratings). يتكلم هوپربلسان الخمسة

والثلاثين مليون اسرة امريكية التي تمتلك اجهزة لاسلكية خاصة، ويربح سنويا مليون دولار، ويعمل في دائرته الفا موظف تقريبا ؟ يطلقهم ليدخلوا على الناس في بيوتهم محاولين ان يخرجوا منهم بما يلذ سماعه من البرامج، ويخبرنا السيد هوپر بمعدلاته، كم في المائة من هواة الراديو يستمعون الى البرنامج الفلاني ؟.

امريكا بلاد عملية، ومعاونو السيد هوپر يقتحمون بيوت الناس ليلا ونهارا يجمعون اجابات عن اسئلة خرقاء او سديدة منظمة باعتباط او بدقة ثم ينشرون ما يجمعونه باحصاءات مصنفة مفصلة، ويعلمونك بلدق الاساليب العلمية ان اقبال الناس على الاغنية المسماة "افتح الباب يا ريشارد" اشد من اقبالهم على "سمفوني بيتهوفن الخامسة" بماءة وسبع وثلاثين مرة، وان هذر "السيد اوڤنگتن" في موضوع "لماذا احب جيني وكيف؟" هي اطيب للناس من تمثيلية شكسبير المسماة "حلم في منتصف ليلة صيف" بمائتين وسبع مرات وثمانية اعشار المرة!.

4- ومن المميزات الرئيسية في الاذاعة الامريكية، ما يطلق عليه "اوپرات الصابون". كان الناس اول اذاعتها (حوالي الظهر) قليلي الاحتفال بها، وفجأة اومضت فكرة نيرة في رأس احدى شركات الصابون بضرورة تنظيم اذاعات خاصة لنساء البيت يسمعنها اثناء تهيئتهن طعام الغداء. وهكذا بدأت اوپرات الصابون تعمل عملها. والان لا تكاد محطة واحدة تخلو من برنامج اوپرا الصابون، تذيعها ما بين الساعة الثانية عشرة ظهرا والرابعة مساء، في كل ايام الاسبوع من نهار الاثنين حتى الجمعة. والاوپرا الواحدة تستغرق خمس عشرة دقيقة ومن اشهر تلك الاوپرات واكثرها نيوعا، الاوپرا المسماة "قصة غرام هيلين ترنت". كانت الانسة ترنت فتاة امريكية كسائر الفتيات بقى عمرها اثنتين



وعليك بهذه النصيحة: ارتد مشدات من ماركة

"تروفت" والا ...!

وثلاثين سنة لعشرين سنة خلون! كانت هيلين اريبة ذكية جميلة تعمل في احدى شركات افلام هوليوود كمصممة ازياء وكان يعرض عليها بالحاف ورجاء شديدين مرتين في الاسبوع ان تحترف التمثيل السينمي، فـترفض مفضلة ان تبقى تلك الفتاة الامريكية البسيطة العادية التي لم تكنها ابــدا! كانت تفض مشاكل الحياة لاي انسان التقى بها صدفة او مر عبر نافذتـها من الشارع وهي مشاكل مهمة وخطيرة لا ابالك. فمثلا كان ثمة شــاب لطيف الشمائل جذاب الشخصية انهى دراسته في جامعة برســتن وبلـغ دخله السنوي اربعة ملايين دولار. هذا الشاب علق بزميلة "هيلين برنـت" وهام بها حبا، فبادلته الحب ووافق ابواهما على قرانهما فمــاذا تراهمـا يفعلان؟ اسقط في ايديهما، وسدت الطرق في وجهيهما، الى ان ظــهرت هيلين فاصلحت امورهما وفرقتهما الى الابد بمجرد كلمات بسيطة حكيمة هادئة.

وثمة موضوع اخر هو "صَبيّتي سندي"، هذه الفتاة "سندي" انحــدرت من اقليم "ميدوست"، وكان ميلادها يوم أحد. بعد ذلــك بزمــان طويــل انكحت لورداً انكليزياً يسمونه "اللورد هنري" وهنري هو الاســم الــذي عُمّد به لا اسم اسرته. ان المشكلة الواجبة الحل هي هذه: ايقــدّر لفتــاة ميدوست الصغيرة ان تسعد باللورد الانكليزي الغني؟ انهما عاشــا معــاً اثنتي عشرة سنة، ورزقا على ما اظن بكثير من الاطفال لكن المشــكلة بقيت كما هي. كان اللورد هنري يقع في مأزق كل اسبوع لقد قتل كــل اصدقائه وكان الشك يحوم حوله كل مرة، لكن براءته تتضح للملأ فــي اخر لحظة فيغادر السجن الى الفتاة "سندي" زوجه المحبوبة ليقضي معـها عطلة الاسبوع وفي صباح الاثنين، يعود فيرتكب جناية قتل جديدة. ينـدر في افراد الطبقة الارستقراطية الانكليزية من يقضي زمنا طويــلا فــي

السجن كاللورد هنري اذن فلا عجب ان لا يستطيع توفير دقيقة واحـــدة من وقته الثمين ليذهب الى مجلس اللوردات ويشـــارك فـــي المناقشـــة البرلمانية حول الشؤون الخارجية.

5- برامج الألغاز والاحاجي شائعة جدا كذلك. ان فئة صغيرة مـــن المستمعين تجعل من انفسها مسخرة للاخرين، فتمنح مقابل ذلك جوائـــز يالها من جوائز! اذا التقيت بشخص يحمل على ظهره مبردة، او بيانو او يقود جملا في شوارع نيويورك فثق انه ربح جائزة ما لنجاحه في حـــل لغز. واني لأنقل اليك الاعلان التالي اقتبسته من صحيفة نيويوركية:

"ربحت السيدة وليم. م. ماكسي من سكنة لوكهاڤن-با، جائزة تقـــدر بـــ 17590 دولارا ليلة السبت الفائت، بان حزرت (كلارا بـــو) نجمـــة السينما ذات الجاذبية الجنسية لزمـــن مضـــى بشـــخصية (هـــش) ذات الاسرار وذلك في برنامج "الحقيقة او الظروف" الـــذي نظمتـــه شـــركة الاذاعة الوطنية. ان التي حلت لغز "العمر ثمانية اسابيع" ربحت طـــائرة وسيارة وعطلة اسبوع مجانية تقضيها في نيويورك واجازة امدها اسبوع تقضيها في (ايداهو!) وخدمة وصيفة لمدة سنة! وجرارة بكامل عدتـــها! وطلاء لداخل بيتها او لخارجه".

6- في الاذاعة بعض المعلقين الممتازين من ذوي الافكار الناضجـــة والصراحة والجرأة والنظرة النافذة الصائبة المتزنة في احـــداث العـــالم. ولقد عمدت احدى المؤسسات التجارية الى الاستغناء عن خدمـــات احـــد هؤلاء وانتزعته من الاذاعة انتزاعا لميول يسارية معتدلة فيه، ولم تشـــفع له (المعدلات الهويرية) التي جرى تصنيفها بحقه، إذ كانت نسبتها اعلـــى من سائر قرنائه المعلقين! لا بل اعلى نسبة من عدد كبير من الحفـــلات الموسيقية. ان استخدام قوى الراديو الثقافية الهائلة لاقناع الناس بشـــراء

المزيد من القمصان والثمار المعلبة والملينات واصباغ الاحذية، هو ما يدعى (بحرية الكلام)، اما اخراج معلق سياسي ألمعي من الاذاعة لانه يصرح بما يعتقد انه الحقيقة فهو ما يدعى (بحرية المشاريع الخاصة).

7- لكن الطابع الرئيس هو الاذاعات التجارية بلا شك. انها تلقى نثرا وتنشد في القوم شعرا، وتغنيها الاجواق او الاصوات الفردية، تستميل الناس ثم تغريهم، تتهددهم وتتوعدهم ثم تأمرهم بشراء ثياب داخلية علامة (S) او فاصوليا معلبة من نوع (Y) وتقطع كل واقعة من وقائع البرنامج (خلا التعليق على سباقات لعبة البيسبول المقدسة!!) ليقال لك انك ستصير فتنة للناظرين لو اكلت من جبن (Z) او انك ستموت في شرخ الشباب، ستموت لا محالة معدما منسيا ان لم تستعمل صبغ الاحذية (W) وينبئك احد هذه الاعلانات الى انك ستكون جذابا ذا فتنة لا تقاوم ان استعملت عطورا معينة حتى ان الناس ليعتدون على عفافك في "الرصيف الخامس" ويقال لك ان المواطنين الشرفاء لا يستعملون الا اقلام حبر "اكروبوليس" وبعدها بدقيقة واحدة يخبرونك بان كل ذي احتشام وسمعة حسنة لا يستعمل الا قلما من نوع "ميوز". ولقد اذاع راديو تكساس الفين ومائتين وخمسة عشر اعلانا تجاريا في ظرف مائة وثلاث وثلاثين ساعة! أي بمعدل 16.7 اعلانا في الساعة الواحدة. ومرة اثناء تمثيل رواية "الملك لير" وقد وصلت المأساة الى قمة الروعة والجلال بانفجار غضب "الملك لير" وصبه لعناته القتالة على كل بناته لانهن... لم يشربن "ابتيموس" عصير البرتقال للافطار!.

مجمل القول فان المبادئ الاساسية التي اختطتها الاذاعة اللاسلكية لها هي:

- هدفها التثقيفي الرئيس هو ان تبيع للجمهور من الجبن ما يزيد عن استهلاكه!.
- حرية الكلام لا تعني الا حرية الشركات التجارية العظيمة في جر سائر الجماهير الى مستواها العقلي المنحط وثقافتها السامة.

"الانباء الحرة. الاذاعات التجارية المقدسة!"

الهزليات وما جرى على منوالها

كلما ابتعت صحيفة امريكية، اصيبت كرامتي بجرح غائر فبثلاث بنسات او اربعة، (والتايمس أرخص جريدة عندهم) يسلمك بائع الصحف مجلدا كبير الجرم يقع في حوالي ثمانين صحيفة. وكان قصارى جهدي مطالعة اغلب العناوين وتصفح فقرات وعبارات من هنا وهناك لا أكثر.

بم تشعر لو دخلت مطعما وامرت بلحم بقر محمص، فجاءك النادل بثلاثة ثيران كاملة مع نصف طن من بطاطا ايداهو (ويبلغ حجم الواحدة منهاحجم بطيخة متوسطة الجرم)؟ بما تشعر لو انك طلبت سجقا مصنوعا على الطريقة الالمانية، فأقبل عليك ستة من الندل يسحبون مصرانا محشوا باللحم طوله اربع عشر ياردة فالقوه امامك ثم اتو بسيف وغدارة فوضعوهما على جانبي طبقك؟ كان هذا شعوري كلما تسلمت العدد المضاعف الثخين من جريدتي الصباحية وكان لزاما علي ان اطالعها بعجلة تكاد تنقلب هلعا، لان جرائد المساء تطبع ضحى اليوم، فاذا اضاع المرء الوقت الثمين فلن تتاح له الفرصة لاستدارك ما فات.

وقد صرح لي مرة صديق جاء من تاهيتي الى امريكا زائرا، قال:

-سأعود الى تاهيتي في ظرف شهر، وتعلم ان لدينا هناك، جريدة ذات وجهين فقط تطبع في اليوم مرة واحدة. انها تقدم خلاصة

لاحداث العالم وكل موضوع فيها لا يتجاوز السطرين او الثلاثة. لــن تجد فيها انباء عن لعبة "البيسبول" ولا حوادث مؤثرة عــن اجــازات السوق ولا وصفا طليا لمنازلات الملاكمة، ولا وقائع لجنايات القتــل. لن تجد فيها اثنى عشر حقلا تضيع في وصف خطب تافهــة لساســة تافهين، لن تجد الا ملخصا للانباء موزونا بكل دقة وامانـــــة، يكتبــه معلق محايد. سأعود الى تاهيتي، واذ ذاك سأعرف ما يحــــدث فـــي نيويورك.

ليس في امريكا -على ما اعلم- من يقرأ انبـــاء السياســـة. فالنســـوة يقرأن الاعلانات فقط، وفتيان المدارس يقرأون الــــهزليات (المصـــورة) التي تسمى (حماقات) لامر ما، والنــــاس ذوو الاناقـــة يقــرأون اخبــار الرياضة، اما الناس ذوو الثياب الرثة فلا يقرأون الا اخبار البورصـــات، وقد يصح العكس أي ان متتبعي اخبار البورصات فقط هـــم دائمـــا ذوو الثياب الرثة. لو تركنا مسألة حجوم الصحف جانبا، فليس بيــن صحــف امريكا وبين صحف البلاد الاخرى عظيم فرق، ربما امتـــازت الاولـــى بجودة اخبارها. لكن اسلوب الكتابة ركيك عنـــد الجـــانبين، ليـس فـــي امكاني الان تعداد اكثر من عشر جرائد في العالم عرفت بحسن الانشـــاء والبلاغة. وللصحف الامريكية مراسلون في جميع مدن العالم المهمـــــة، وفي كل مراسل رغبة ملتهبة وشوق عظيم الى الظفر بمعلومات خطيرة، فهم لهذا السبب يبرقون او يتلفنون الى بلادهم بالاخبار عن (المســـــببات البعيدة الغور) و (الاسباب الحقيقية) لكل الاحـــــداث السياســـية الســـالفة والمقبلة! بعد ان تجري اقلامهم عليها تحويرا وتزويقا فيه حيوية. وثمـــة قضايا خبرية احتلت ركنا مهما في تاريخ الصحافة وســـجلاتها، قضايـــا كانت دقائقها ودواخلها تقارب الحقيقة الى درجة كبيرة!

اود ان اسجل بضع نقاط استرعت اهتمامي:

1- ليس في الولايات المتحدة صحف يومية رسمية، فالمسافات شاسعة،يتعذر معها توزيع الصحيفة في ارجاء البلاد كافة، ثم ان المجلات قد اغرقت السوق المحلي تماما وطبعاتها قد تصل الى ارقام خيالية. مهما يكن، فان المجلات هي المجلات، لكن في امريكا يوجد نوع خاص، ومجلة "النيويوركي" وهي خير مثال يحررها البالغون ليقرأها البالغون وتزين برسوم هزلية فنية مضحكة وقصص مسلية مليحة وتعليقات لاذعة على الحوادث الجارية. ويغلب على ظني ان انكلترا ستجني اعظم الفائدة لو كان عندها مجلة مثلها، اقول هذا وليس قصدي الانتقاص من قدر مجلة "پنچ" [1] ذات الكتابة الجيدة جدا والمستوى الرفيع دائما، لكني اشعر بان الوقت قد حان ليذهب احدهم الى رئيس تحريرها ويخبره بان "اللورد بكنسفيلد" [2] لم يعد الحاكم بامره وان ايامه قد انقضت الى حيث لا رجعة، ثم يحتال عليه بالخبر الفاجع، خبر وفاة الملكة "فكتوريا"!.

2- ان مجلات "الدايجست" هي صنف قائم بذاته بين المجلات ومجلة "ريدرز دايجست" تكاد تكون من ضروريات كل فرد، وقد يربو ما يباع منها شهريا على ثلاثة عشر مليون نسخة، هذا عدا طبعاتها باللغات الاجنبية العديدة، وطبعة خاصة للعميان باحرف بارزة، وطبعة اخرى للصم! واخرى مثلها للاميين! [3].

---

[1] "Punch" مجلة انكليزية هزلية اسبوعية صدرت اول مرة في لندن 1841 وقد احتجبت نهائيا مؤخرا.

[2] هو دزراليلي رئيس وزارة بريطانيا في عهد الامبراطورة فكتوريا.

[3] كان لهذه المجلة طبعة عربية اسمها (المختار من ريدرز دايجست).

هذه المجلة تلي الكتاب المقدس في سرعة الانتشار في انحاء العالم كافة. وعلى كل، فسكان امريكا يضيق وقتهم عن المطالعة، وبقراءتهم هذه المجلات المركزة يتولد في نفوسهم شعور من قرأ كل ما يستأهل القراءة. ليس ثمة موضوع لا تطرقه مجلة ريدرز دايجست فمن البيسبول الى الدين، ومن داء السرطان الى الرقص، ومن الفن الى حياة سمك سليمان السعيدة، ومن التعليم العالي الى دودة القز الى صناعة شبكات الشعر في الصين الشمالية. وكل مواضيعها ملخص عن جريدة او مجلة اخرى. لذلك فان القارئ يظفر بكل ما يريد، مجففا مسلوخا مقددا مخصيا. ما عليه إلا ان يذيب هذه المواضيع في قدح ماء ويشربها بسرعة وبذلك يحصل على جرعة من الثقافة. وريدرز دايجست توصي على كثير من المواضيع فيقوم محرروها العديدون (لكل باب ثابت من ابوابها رؤساء تحرير ثلاثة تقريبا) بكتابتها وبنشرها في جريدة مستقلة تابعة للمجلة نفسها، ثم تعيد "الريدرز دايجست" طبع المقال المنشور بعد تلخيصه وتركيزه. ويحدث احيانا ان هذه المواضيع "المزروعة" في الجريدة التابعة، تلخص للمجلة بشكل تصير اوسع واكثر اسهابا من الاصل الذي اقتبست منه كما يحصل احيانا ان اعادة طبع الملخص في الدايجست يظهر قبل نشر الاصل ببضعة ايام!

هناك عدد اخر من المجلات "المركزة" المنتشرة في امريكا، لكن ليس بينها ما يطال الريدرز دايجست ويضاهيها. هنالك "مركزات" تعالج كل ما يخطر ببالك وما لا يخطر من المواضيع فثمة "دايجستات" الرياضة والزراعة والسينما والشؤون الدولية ودايجست الغرب الامريكي القاحل ودايجست الزنوج والموسيقى. ولم اصب بالدهشة حين اكد لي رجل

اعمال لقيته، ضرورة طبع مجلة "دايجست كل دايجست" تلخص فيها المواضيع الملخصة!.

3- تم في غضون السنوات الاخيرة اكتشاف اثداء النساء في امريكا عامة وفي الصحافة الامريكية خاصة واعني بذلك ان هذه الحقيقة قد لاحظها بعض الصحفيين (لا شيء يبقى مستورا عن اعين هؤلاء الناس!) وهي: ان النساء ذوات اثداء. والعادة الجارية هي: لكل امرأة ثديين. ولم ترتفع احدى الفتيات الى مصاف نجوم السينما في هوليوود الا لانها نجحت في الحصول على كمية من الاثداء اكثر مما يصيبها عادة، واغلب صحف نيويورك تصف النساء على الوجه الاتي:

"اسم الفتاة هو: الانسة اليانور. و. ، العمر: 21 سنة، الشعر: رمادي أربد، طول القامة: 5 اقدام و 4 بوصات، سعة الصدر عند الثديين 34 بوصة".

والقراءة الدقيقة لصحف نيويورك تزيد من معارفك التاريخية زيادة ملحوظة نافعة اذ انت تحفظ قياس صدر كل امرأة على وجه الارض: من سارة (زوج ابراهيم عليه السلام) الى السيدة "توجو"[1].

4- وآخر ما اود التنويه به، هو الهزليات المصورة وتسمى بهذا الاسم لانها ليست بالهزليات ولا بالمصورة وكما يقتضي للاجنبي في انكلترا سنوات ليفهم سبب هيام الانكليز بصفوف الانتظار وشدة تعلقهم بالبيرة الفاترة او الحكمة من افساح جريدة مشايعة لحزب المحافظين مجالا فيها لرسام هزلي يساري الميول كيما يهاجم سياستها وينتقد مبادئ صاحبها في حقولها بالذات كذلك لن يفهم زائر الولايات المتحدة

[1] قد يقصد امرأة الجنرال توجو رئيس وزراء اليابان في الحرب الاخيرة او اي شخص ياباني آخر.

سر انجذاب الملايين العديدة من الناس بتلك الهزليات المصورة وما هو السر في كلفهم بها. وان انت استثنيت جريدة "نيويورك تايمس"، فلن تجد صحيفة يومية غيرها في نيويورك تتعفف عن نشر هذه الهزليات حتى "نيويورك هرالد تريبون" الراقية جدا بل حتى جريدة "پي. ام [1]" الطامحة الفخورة. هذه الصحف اليومية تعطي الهزليات بالاقساط. فمنها ما يمنح القراء صحيفتين، ومنها ما يمنحه ثلاثا او اربعا وفي ايام الاحاد تطبعها ملونة وتنقلها من المكان المخصص لها عادة فتضعها في صدر الصحيفة الاولى من الجريدة لان الهزليات هي التي تبيع الجريدة على كل حال.

سألني احد الوراقين مرة بلهجة المتعجب:

- احق ما تقول؟ الا يوجد في انكلترا "هزليات"؟.
- اجل هذا ما قلت.
- يا للسماء! كيف يمكنهم بيع صحفهم اذن؟.

لم يحضرني الجواب ساعتها، لكني قضيت ليلة نابغية وانا احلم احلاما مرعبة تدور كلها حول صحف "التايمز والمانشستر غارديان والديلي تلغراف[2] تخرج الى الناس مملوءة بالهزليات المصورة. بعض هذه الهزليات تقص عليك قصص مغامرات "السوپرمان" ممن يتزيا بلباس أبطال الرياضة وبهلوانات السركس ويشبعون كل شخص ضربا ويكيلون اللكمات الصاعقة لابطال الملاكمة السابقين (يبدو ان ذلك لا يثير أي عجب في الرصيف الخامس) ويحلون كل معميات الحياة واسرار الكون ويدافعون عن الابرياء ويقتصون من المجرمين وبعضها

---

[1] P. M: الحرفان الاولان من كلمة بعد الظهر Post Meridiem أي بعد الظهر.

[2] كلها جرائد انكليزية وقورة جدا وواسعة الانتشار.

يحدثك بقصة الفتيات الصغيرات والجنيات وبعضها يروي لك حكايات عن رعاة البقر التكساسيين وعن الصبايا المعذبات والرياضيين والمجرمين وراكبي خيول السباق وأعلام محققي الجنايات وأعتى القتلة. في هذه المصورات يظل الناس يتكلمون، يتدفق الحديث من افواههم كالسيل الطاغي وتخرج الالفاظ كفقاعات الصابون بلا انقطاع وهم يصوغون الكلام عن مشاكلهم المستعصية باسلوب انشائي جازم وبحدة ذهن خارقة مثال ذلك (وها انا انقله حرفيا).

"الا توافقني بان الانسان يظلم نفسه عندما يظهر الاخلاص الاعمى لفتاة لا يحبها... عندما يعلم بان فتاة اخرى ظهرت في افق حياته ولم تكد... ربما كانت هي الفتاة التي يكن لها حبا حقيقيا؟ (حكم ايطالية قديمة – عن الاصل)".

كلما خطر لي مناقشة موضوع هذه الهزليات مع الصحفيين واخرين غيرهم اجابوني بان قيمتها الثقافية لا تقدر بثمن. فاذا كان قصدهم من هذا، انهم يعلمون بها الجماهير فنون المصارعة اليابانية (جوجي تسو) واروع الاساليب في احراق البيوت وكيفية سرقة الخيل في تكساس فان حجتهم قوية وهم مصيبون كل الاصابة اما غير ذلك فلا علم لي به وليس لي الا ان القي سلاحي مستسلما.

مهما كتبت عن الهزليات، فليس في المستطاع تقديم صورة صادقة للقارئ الذي ليس لديه فكرة عن الموضوع من الضروري في اعتقادي إتحافك بالنموذج وسيحاول مؤلف الكتاب ومصوره ذلك، فيما يلي، لترى طبيعة الهزليات والقيمة الثقافية النفسية لها والانموذج هو عبارة عن

فضل "فيثاغورس" مقتبسا من كتاب "برتراند رسل" المسمى "تاريخ الفلسفة الغربية"[1]:



الصورة الاولى

الطفل الاول- من هو القديم؟ فيثاغي الشيخ؟.

انه لا اكثر من دعي بليد ساموي عاش حوالي العام 532 ق.م.

الصورة الثانية

فيثاغورس: كل الاشياء هي اعداد.

الصورة الثالثة

الطفل الثاني: انه ليس بليدا يا (بود) فهو اشبه بإنشتاين و القديس فرنسيس و السيدة "ايدي". تقمصوا كلهم جسما و احدا.

---

[1] B.Russel (1872-1970) رياضي وفيلسوف انكليزي من بناة المنطق الحديث. حائز جائزة نوبل للسلام. وفيثاغورس Puthagoras فيلسوف ورياضي اغريقي شهير من القرن السادس ق.م.

الطفل الاول: يا للنار المقدسة!

الصورة الرابعة

الطفل الاول: لا تمزح!

الطفل الثاني: انه يحملني على إعمال فكري مع ذلـــك، فلكـــم اود ان احصر تلك الارقام بين اقواس.

الصورة الخامسة

الطفل الثاني: لا تلمس لحم الخنزير والفاصوليا ولا تقف في الطريـــق الجانبية.

الصورة السادسة

فيثاغورس: لا تجلس على هذا الوعاء الـــــذي يبلـــغ ربـــع غـــالون ايها الصبي.

الصورة السابعة

الطفل الاول: يبدو انه لا يريد ان يلمس الديك الابيض ايضا.

الطفل الثاني: حسنا وماذا تعرف انت؟

الصورة الثامنة

الطفل الاول: ارى ان الرياضيات نظرا الى الاســـلوب الاســـتنتاجي المنطقي الاثباتي الذي تقدمه، قد بدأت بالشيخ فيثـــاغورس فيـــا لله مـــن مخيخ!

الفصل الثالث

الابيض والاسود

للبيض فقط

الديموقراطية في امريكا حقيقة ملموسة ما اشبهها بحسناء متبرجة ذات انف طويل معقوف وفم مهشم الثنايا الا انها ديمقراطية واقعة في ورطة والزنوج لطختها السوداء.

العالم دار شر وفساد ووقت الامريكيين المساكين يستغرقه امر الدفاع عن حقوق الهندوس في الباكستان، والمسلمين في الهند واليهود في فلسطين والكوريين في اليابان والطليان في يوغسلافيا والمجريين في چيكوسلوفاكيا بحيث لا يمكنهم تخصيص لحظة منه للتفكير في امر زنوج الولايات المتحدة.

في الولايات المتحدة اكثر من ثلاثة عشر مليون زنجي، أي ما يزيد على عدد سكان كندا بأسرها. عشرة ملايين منهم تقريبا، حطوا رحالهم فيما هو معروف "بولايات الجنوب"، "وان شئت الدقة" الولايات الجنوبية الشرقية" ثم هناك سبع ولايات لا يزيد عدد الزنوج في كل واحدة منها عن الف نفس. ولهذا كان سكان الجنوب اكثر خبرة ودراية من غيرهم بالمسألة الزنجية وهم يحاجونك بان جرائم الزنوج الفظيعة لا يحصيها عد وهذا ما يبرر اضطهادهم.

1- فالزنجي اسود اللون قبل كل شيء: يبدو ان اللون الاسود هو احدى جرائمهم الشنعاء التي يؤاخذون عليها وربما كانوا سيلقون من الجنوبيين خير معاملة لو لم يكونوا سودا. كلما ناقشت مسألة الزنوج مع احد الجنوبيين البيض، اسمعني العبارة الفظة المرعبة الاتية مرات عديدة:

- لكن اما ترى؟ انهم سود!.

اراني مرغما على الاقرار بان عبارة "الزنوج السود" الدقيقة، لهي على جانب كبير من الصدق. فالزنوج سود ولا فائدة من الانكار.

2- انهم جهلة، أو غير مثقفين على الاقل: ارى هذه التهمة الثانية قد رثت من تقادمها بعض الشيء ومن الضروري ان يعتاض عنها بتهمة حديثة عصرية. انها لوصفة طبية قديمة حرمانك الناس دخول المدارس وابقاؤهم في فقر مدقع يمنعهم من ورود مناهل العلم، لتأتي وتصمهم بالجهل والأمية.

3- في الزنوج شعور بالحقارة العنصرية الغلابة، الملايين منهم قانعون باحوالهم وهم مؤمنون بنقصهم وعجزهم، يكرهون كرها مميتا كل زنوج الشمال الذين يحدثونهم عن استئصال العبودية والرق. ولأمضين على رسلي فأقول: ان بعضهم يرغب حتى في الشنق على الاشجار، اقول.. بعضهم لا كلهم. افراد قليلون منهم فقط وليس في كل وقت بل بين آن واخر ولنحدد العدد بمرتين في السنة.. في عز الموسم!.

4- انهم "لا يرضون بما قسم لهم". اخبرني جماعة من الجنوبيين ممن يدعي روح التسامح وحرية الفكر ان لا اعتراض لهم على الزنوج ما داموا يرضون بما قسم لهم (يعرفون محلهم من الإعراب)، الا انهم يناصبون العداء اولئك المكابرين المتعالين منهم وبعبارة اوضح: الزنوج

محبوبون جدا ما داموا خداما وبوابين وسقاة في المطاعم ومنظفي مجار وصباغي احذية وعمالا في مهن شاقة (ويفضل ان تكون اجورهم جد واطئة!) ولا يهب الإعصار وتقوم القيامة الا عندما يتكلم الزنوج عن الحرية والمساواة وغيرها من الامور المعيبة الشائنة مما اوردنا فيه الامثلة آنفا ولا يفدح الخطب الا عندما يتجاهل الزنوج اسيادهم البيض فلا يكرمونهم الا كرام اللائق. (وهؤلاء الاسياد هم في احوال كثيرة عتالون بيض، جهلة، اشرار، سيئو الطباع).

5- ان فيهم نتانة طبيعية: الزنوج ولاسيما اولئك الذين لا يستحمون اسابيع كاملة تفوح من جسومهم رائحة غريبة خاصة. ولقد احتككت بما لا يحصى من اهل الجنوب البيض الذين كانت اشغالهم الكثيرة تمنعهم من الاستحمام، ولاصدقنك القول، اني كنت افرقهم بسهولة عن زهرة مفتحة الاكمام!.

6- آباؤهم كانوا عبيدا: تدبر هذا القول: انه عار على الزنوج لا عار على اسيادهم!.

7- انهم ذوو ميول اجرامية: هناك بدون شك جرائم شنعاء تقشعر منها الابدان كالشنق على الاشجار وهي الجريمة التي يساهم فيها الزنوج بشكل من الاشكال[1]!.

تلك هي المساوئ التي يؤاخذ بها الزنوج وبها يمكن تبرير الاضطهاد الذي ينصب على رؤوسهم، لكن الاضطهاد لا وجود له البتة لان التعديل الخامس عشر من الدستور الامريكي ينص على ما يأتي:

---

[1] أي كانوا ضحاياها مطلقا وهو نوع من المساهمة!



(ان حق مواطني الولايات المتحدة في الاقتراع، لا يمكن ان تسلبه او تنكره الولايات المتحدة كمجموع او أي ولاية على انفراد، بسبب الجنس او اللون، او بسبب حالة الرق السابقة).

ولقد تمسكوا بهذه القاعدة، ولم ينحرفوا عنها قيد انملة. فلم يسلب الزنوج حق الاقتراع بسبب أعراقهم ولونهم، ولكنهم جردوا منه بفضل تطبيق بعض الحيل القانونية والمبتكرات الاخرى كضريبة الرأس Poll tax وكالقوانين الاولى للسكان البيض الاولين.

ثم هناك تفرقة في الجنوب والقاعدة هي هذه: "منفصلون، لكن متساوون". فالمحلات الامامية من الباصات مخصصة للبيض، هذا صحيح لكن المحل الخلفي مخصص للسود في الوقت نفسه. (لو عن لك ان تجالس السود في محلهم رفض السائق المضي في السير). وفي كل قطار تربط عربات مسماة "جيم كراو" [1] وهي حافلات مخصصة للزنوج فقط، وقد جرت العادة ان تربط خلف القاطرة مباشرة ليصتبها كمية لا بأس بها من الدخان بينما خصصت الحافلات الباقية للمسافرين البيض فقط. فاذا اكتظت حافلة الزنوج وضاقت بهم بحيث يضر بصحتهم، وفضل لكل ابيض واحد سبعة مقاعد في الحافلات الاخرى، فما ذاك الا من سوء الحظ. ولن يستدعي الامر تغيير النظام او اجراء تدبير وقائي سريع. الحق ان الزنوج يطردون من المطاعم والمستشفيات والفنادق

---

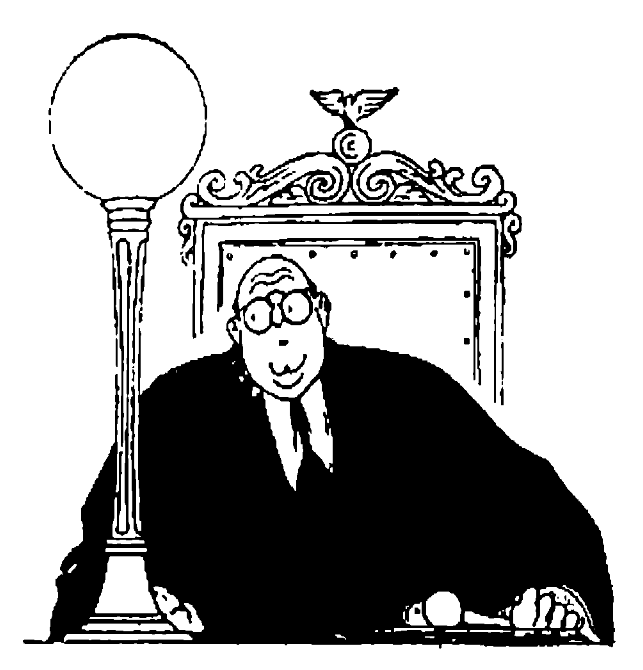
[1] Jim Crow: اسم احد البيض الذين دافعوا كثيرا لحماية قضية الاضطهاد الاسود في امريكا بعيد منتصف القرن التاسع عشر. [ما يذكره المؤلف هنا من التمييز الطبقي والعنصري في ركوب الحافلات زال بقوة القانون بعد خمس عشرة سنة تقريبا من صدور هذا الكتاب بقوانين صارمة قضت تماما على هذه الظاهرة.]

والسينمات والمسارح وغيرها من المحلات العامة، لكن البيض بدورهم لا يقربون محلات الزنوج ولا يترددون اليها.

يطرد الزنوج من حوانيت عديدة واذا تنازل بقال او بائع ابيض الى قبول نقودهم، فهو يمنعهم في ولايات عديدة من تجربة القبعات والثياب والكفوف. وليس للزنوج ان يدخلوا عربة الطعام في القطار او يحجزوا لانفسهم محلا في عربات النوم او قمرات القطارات لكن حقهم محفوظ في البقاء خارجا. من السهل جدا ان نتوسم العدالة والدقة في هذه القواعد والاجراءات التي يجمل ان يتحلى بها جميع المدافعين عن الاقليات أنى وجدت، شريطة ان تكون تلك الاقليات بعيدة عنهم بعدا شاسعا وفي بلاد اناس آخرين. "منفصلون، متساوون" كل الزنوج منفصلون عن غيرهم انفصالا تاما. كل الزنوج متساوون بغيرهم.

* * * * * *

والنتيجة المحتومة (كما اوضحها لي اناس كثيرون) هي حرية البيض. فمن الضروري ان يكون البيض احرارا في امتلاك حدائق ومستشفيات ومكتبات "للبيض فقط" بشرط ان تخصص حدائق ومحلات عامة اخرى جيدة "للزنوج فقط". لو سألت فريقا من الجنوبيين عما اذا كان يتمتع الزنوج بما يتمتعون به من حدائق ومكتبات ومستشفيات جيدة قهقهوا ملء اشداقهم فهذا في عرفهم مزاح لا نظير له. من الضروري ان تطلق "الحرية" للبيض في منع الزنوج من غشيان مطاعمهم بفضل تعاليل ومبررات ومزاعم كثيرة، ولقد حصلوا مؤخرا على الحق القانوني في "الشنق العلني على الاشجار "Lynching" ايضا. وان كان بعض الشك يساور عقول البيض في مشروعية الشنق على الاشجار. ففي ايار من سنة 1947 قبض على ثمانية وعشرين رجلا أبيض وسيقوا الى المحاكمة (لاول مرة في تاريخ الجنوب) لانهم شنقوا فتى زنجيا، كان



الكلام موجه الى هيئة المحلفين

"واجبكم ايها السادة ينحصر في الوصول الى قرار قضائي منطبق نصا ومنسجم روحا مع القرائن ووسائل الاثبات التي عرضت عليكم. من واجبكم ان تطردوا عن رؤوسكم كل اعتبارات الظروف الخارجية التي لا تمت الى الموضوع بصلة لتأمين عدم المحاباة والنزاهة المطلقة التامة. لتؤيدوا بدون خوف او وجل استقامة القانون وعدله. لتؤيدوا الحق المقدس لأي مواطن في الولايات المتحدة، حقه في محاكمة عادلة. ولتعلموا في الوقت نفسه بان ليس في دستورنا ما يمنع من تبرئة الزنجي!"

ستة عشر منهم قد اقروا بجريمتهم، ووقعوا اعترافا خطيا بمساهمتهم في عملية الشنق، لكن هيئة المحلفين (وكلها من البيض) برأت جميع المتهمين من كل التهم الثماني والتسعين التي وجهت اليهم. هذه الهيئة، اتمت المداولة في قرار الحكم بخمس ساعات ونصف الساعة أي بمعدل ثلاث دقائق وثلاثين ثانية تقريبا لكل تهمة من التهم الثماني والتسعين. ان مهمة هيئة المحلفين القضائية هي تقدير الادلة وتقرير الادانة او البراءة بما يتوفر لها من البينات والوقائع. لكن الجنوب ترجم هذا القرار بانه اباحة عامة بالشنق على الاشجار. فلم يمر على القرار بضع ساعات الا وشنق زنجي اخر على جذع شجرة شنقه جمع من غوغاء البيض.

* * * * * *

الشمال جنة في عرف الزنوج اذا ما قيس بالجنوب فليس فيه حافلات "جيم كراو". وللزنوج حق الاقتراع العام كما لهم الحق في الاستخدام الحكومي على قدم المساواة مع البيض ومشاركة هؤلاء في اشغالهم واعمالهم. لكن يتعذر عليهم ان يعثروا على منازل للسكنى في أي منطقة عدا "هارلم Harlem" وان كانت قلة منهم لا تذكر تعيش في "بروكلاين وبرونكس، وگرنويچ ڤلج"، فعليهم ان يدفعوا ايجارات فادحة وان يسكنوا الاحياء الفقيرة منها ولا يمكنهم ان يستأجروا غرفا في الفنادق وهم ممنوعون من ارتياد اغلب المطاعم وغيرها من المحلات العامة واذا كان مديرو الفنادق واصحاب المطاعم يساقون الى المحاكم ويغرمون بسبب طردهم للزنوج، فهذا ما لا يحصل الا في اوقات متباعدة ولهذا السبب كنت اسأل كل زنجي اصاحبه، ان يختار المطعم الذي يريد وما كان هذا ايضا ينقذنا من النظرات الفضولية او العدائية، تخزرنا بها العيون من كل جانب، حتى الطبقة العمالية فهي تتنكر للسود واذا كان "مؤتمر المنظمات العمالية الامريكية" .C.I.O وهي مختصر

(Congress of Industrial Organisation) يحظـــر هـــذه التفرقـــة حظرا باتا فاننا نجد عددا عظيما من نقابات العمال الامريكيـــة يســـتثني الزنوج من عضويتها بموجب نص صريح في انظمتها الداخلية وغيرهـــا تنهاهم بالمعروف او بالمفهوم الضمني لقوانينها عن الانضـــــواء اليـــها. وغيرها لا تمنحهم اكثر من شخصية ثانوية بحيث تفرقـــهم عـــن بـــاقي اعضائها.

للقانون ان يفرض ما يشاء وقد تثير احكام بعض القضـــاة النزيـــهين العادلين انبل المشاعر واشرفها في أنفس الناس وقد يحاول الرأي العـــام المتنور المستيقظ ببطء ان يستخدم الضغط لفرض كلمته الحقيقيـــة لكـــن جدار التباغض والشنآن يبدو صلدا متينا صعب التقحم. ان اعتـــذر رب مطعم لزنجي بان كل موائده محجوز فلا لوم عليه ولا تثريب، فاذا اتفـق لزنجي ان عثر على محل، امر رب المطعم خدمه ان يتجاهلوا طلباتـــه. وبعدها ينسحب رب المطعم الى ركن قصي ويستأنف نقاشاً كان قد بـــدأه مع اصحابه عن الاقلية "المقدونية" التي لا تتمتع بحقوق الاكثريـــة فـــي بلغاريا او عن اليهود الذين تساء معاملتهم في فلسطين. صاحب المطعـــم هذا، لو سمح للزنجي بأن يرتاد مطعمه لفقد عددا كبـــيرا مـــن زبائنـــه البيض ولو آجر ملاك جناحا من داره لزنجي انخفضت ايجارات ملكـــه وسائر المنازل المجاورة له واذا وقع شيء من هذا القبيـــل مـــع اتخـــاذ الاحتياطات دونه فسيحتكم سماسرة العقارات الى العزة القوميـــة وانفـــة الجمهور ويؤلبونه ويحشدونه بمظاهرات تحمل شعارات نبيلـــة القصـــد مطالبين بانقاذ قيمة العقارات من التدهور. الحق يقال ان هـــذه المعاملـــة مضادة لروح الدستور ونصه الحرفي والحق يقال ان الدســـتور مقـــدس لكن الدولار اقدس منه: احترامنا للدستور يجب ان يكون عظيمـــا، لكـــن احترامنا لقيمة العقارات يجب ان يكون اعظم.

* * * * * *

في ايام الحرب الماضية سمح للزنوج ان يتطوعوا في قوات الولايات المتحدة المسلحة، لكن التفرقة ظلت على حالها باشنع مظاهرها واشدها، فقد كان للزنوج وحداتهم العسكرية الخاصة لا تمتزج بوحدات البيض، وكانوا ينامون في ثكنات على حدة... واذا تركنا هذه التفصيلات جانبا، وجدنا استثناء لقواعد التفرقة هذه، وهي ان رصاصات الالمان واليابانيين لم تكن موسومة بعبارة[1]:

(للبيض فقط)!!.

لقد نفذت جذور التباغض الى الاعماق، ولم يعد ثمة حل (على ما يرى الكثيرون) لكني ارى هناك حلاً: متى ما ادى وجود الزنوج في محل ما الى ارتفاع اجارات العقار بدلاً من خفضها، فان كل جدران التفرقة ستتقوض وتنقض حتى أساسها.



[1] قضى على الظاهرة تماما منذ وقت بعيد يعود الى ما قبل الحرب العظمى الثانية واثناءها والمؤلف يبالغ هنا، اذ لا وجود الأن لهذه الظاهرة في الجيش الامريكي.

شبيه الشيء "بالاسود"

لو سِرتَ في "هارلم" (المدينة السوداء، او الحي الاسود في نيويورك ان شئنا ترك الكناية جانباً) لامكنك ان تشهد مشكلة عنصرية عرقية مهمة كثر البحث فيها وهي منعكسة على واجهات محلات التجميل ومخازن النسائيات. سترى فيها كل انواع "الدمى" كما هو الشأن في مخازن العالم كافة. لكن الدمى في هذا الحي سوداء. انها دمى سوداء الوجوه بشعور مسترسلة او جعدة احياناً – تكشف عن مهارة الحلاق وبراعة الخياط. ثم انك تلحظ عدداً اخر من الحوانيت فيه دمى نحاسية البشرة "كريولية [1] Creole" ثم تجد واجهات اخرى اعتني فيها بخلط الدمى السوداء بالبيضاء اكبر عناية.

ان الزنوج لا يستطيعون تقرير امر البقاء سوداً، او انقلابهم الى بيض وان الناضجين عنصرياً يعتزون بسوادهم ويحتقرون اولئك الذين هم اخف منهم سواداً ممن يجري في عروقهم دون شك الدم الابيض. وهذا في الحقيقة هو واقع حال ثلثي سكان "هارلم" . اما بعضهم الاخر فيحتقر الشديدي السواد منهم ويود بجدع الانف ان يعمل كل ما في طاقته للتخفيف من سواد بشرته. اما الصحف الزنجية فهي من جهة تبشر بالوعي القومي والعزة العنصرية بينما تضطر من الجهة الاخرى الى نشر اعلانات عن بعض الادهان التي يزعم انها تخفف من سواد البشرة. **ان "هارلم" هي المفارقة السوداء في نيويورك والزنوج هم امريكيون بالدرجة الاولى ثم زنوج بالدرجة الثانية.**

---

[1] هو ما يطلق على مواطني جزر الهند الغربية وامريكا الجنوبية الذين هم مزيج من العرق الاوربي والوطني (الهندي) وبشرتهم تميل الى اللون النحاسي.

الاستعلاء هو عمل جد معقد كما هو عليه الان عند الامريكيين البيض لكنه اشبه بعبث الاطفال اذا قيس بالعمل الذي يواجه استعلاء ذوي البشرة السوداء.

ان كنت زنجيا ورغبت في ان تتغطرس فعليك ان تفرق بين الاستعلاء العنصري الخارجي والاستعلاء العنصري الداخلي. الاستعلاء العنصري الخارجي هو استعلاء طبيعي ولا شك. وربما كان ثمة الكثير مما يبرره نتيجة رد فعل الاضطهاد والتعدي. ان شئت ان تكون مثال الزنجي النيويوركي، فعليك ان تتدارس القواعد التالية، لانها تتضمن الحد الادنى من المعرفة التي لا غنى لك عنها:

- **الاستعلاء العنصري الخارجي**

لك ان : (أ) تبغض كل البيض.

(ب) تتجاهل وجودهم، او ....

(ج) تقدسهم وتحسدهم.

وايما استحسنت من هذه القواعد، فعليك اولا واخرا ان تقلدهم وتحاكيهم في سائر عاداتهم وسلوكهم، فتدخن سيگارهم الطويل وتلبس اربطة عنقهم الحمراء الخضراء الذهبية. ولك حتى ان تتفهم وتتشرب موقفهم المعادي للزنوج المعادي لطبقات معينة منهم على الاقل.

ذات مرة اخذتني سيدة بيضاء من اصدقائي الى ناد للشباب الزنجي المغرق في الجهل والتأخر. وهناك طفق يافع في سن الرابعة عشرة يعرفنا بنظرياته العنصرية وخطط قومه المقبلة قائلا بصوت الحالم:

"سننزل يوما الى الشوارع، حاملين أسيافا طوالا طوالا جدا والدم يقطر منها".

"سنشرع في تلك الليلة بقتل جميع البيض جميعهم بلا استثناء وانـــت ايضا يا آنسة كاترين وان كنت رقيقة جدا، محبة لنا".

ثم انه نظر الي واضاف قائلا بادب واحتشام:

"وكل الزوار ايضا"

فصاحت صديقتي مشدوهة مرتعبة بعض الشيء:

كيف تجرؤ على التلفظ بامور كهذه؟.

نظر الصبي الينا، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ملائكية واجاب:

- انني صغير السن جدا يا انسة كاترين.. جاهل جدا !.

* * * * * *

عليك ان تقاوم كل الزيجات العنصرية الداخلية . لكنـــك ســتصادف قليلا جدا من هذه الزيجات على كل حال. ستجد احيانا اناسا (رجالا مــن الزنوج ونساء من البيض او العكس) ستجد اناسا بلغت بهم الشـــجاعة ان وقع احدهم في حب الاخر فتوفر لهم الاستعداد لتخطي جميع الحواجـــز العنصرية، وكثيرا ما نجد ايضا فتاة بيضاء فقيرة الحال (تبيـــع نفســـها) لزنجي غني. ان زواج الابيض بالزنجية انما نادر الوقوع ومــهما كــان السبب الداعي الى هذا الزواج، فان الزوج الابيض يصبح زنجيـــا فـــي اعين مجتمع البيض وكل اولاده (او اولادها) يعتبرون زنوجا. اما فـــي اعين الزنوج فانه يبقى على كل حال ذلك الاجنبي الابيض الغريـــب او الدخيل. ان الزنوج يقفون منه موقف المتعالي ولسان حالهم يقول:

- انه لم يشرفنا!

وانا شخصيا ارى خسة ودناءة وروح انتقام سافلة في موقفـــهم هـــذا لكن عفوك اللهم الا اشاركهم هذا لو كنت زنجيا ؟.



الزنجي ووضعه في المجتمع الهايتي

اذا تركنا جانبا موقف الزنوج العام من البيض، فلك كزنجي ان تحتقر جماعات معينة من بني جلدتك (احتقار سرى كالعدوى) مثال ذلـــــك: ان خصومة القرن التاسع عشر البريطانية للايرلنديين، ما زالت موجودة في نيوانكلاند السوداء، وما وراء تخومها. وملخص القول فروح العصــــر تقضي عليك ان تكون ضد الساميين ويقال ان اكثر اصحـــاب الدكـــاكين والعقارات البيض في "هارلم" هم يهود، فبغضة الزنوج لهم ترجع الـــــى كونهم بيضا واغنياء فضلا عن كونهم يهودا وقد انتشرت حكايــــة فـــي نيويورك خلاصتها ان زنجية فاحمة السواد، جربت قبعة مزدانة بكثـــير من الفاكهة الصناعية والازهار وزخارف ونقوش صارخـــة اللـــون ثـــم تفرست في وجهها على صفحة المرآة وصرخت مرعوبة:

- رباه ! اما أبدو كاليهوديات؟.

- **الاستعلاء العنصري الداخلي**

ومبدأ الاستعلاء العنصري الداخلي، يستدق على الفهم الـــــى درجـــة كبيرة فقبل كل شيء هناك الفروق الطبقية وهي المالية والثقافية والمهنيـة وان الحد الذي يفصل بين الغني والفقير هو اقوى واشد من جميع روابـط الجنس.

- هذا والزنوج الاخف سوادا يحتقرون من هم احلك سوادا.
- الزنوج الفاحمون يحتقرون من هم اخف سوادا.

واعلم هنا بالا وجود في الالوان ما يقف بين الاسود الفاحم والاصحـم الخفيف المشوب بالاصفر أو الأحمر أو حتى الاخضر الا وفـــي هـــارلم من يمثله. الحق يقال ان زنوج افريقيا الاقحاح الذين نزحوا مؤخرا مــــن

نيجيريا وساحل الذهب والكنغو وليبيريا وغيرها من البلدان والمستعمرات الى الولايات المتحدة ينظرون بعين الزراية الى كل زنوج امريكا لانهم يعتبرون انفسهم ارستقراطيي القوم وانك لتجد فيهم بعض الامراء الزنوج.

بعد هذا يجيء من الزنوج: المهاجرون واللاجئون واعلم ان امريكا ام كريمة اليد غنية بحيث لا تبخل على اولاد زوجها بعيش كله رفاء وامن يفوق ما يلقاه الكثيرون منهم في بلدهم الاصلي وربع سكان هارلم هو نيوانگلند السوداء، والنيوانگلنديون السود هم بريطانيون مترفعون لحما ودما يستنكرون الفروق الطبقية التي يكادون لا يعلمون عنها شيئا (خلا اهل جمايكا منهم) انهم ما زالوا محتفظين بجنسياتهم البريطانية وتراهم يحتفلون بكل مناسبة سارة تحصل للاسرة المالكة البريطانية ويتكلمون بنوع من اللندنية المشوبة بلهجة امريكا والمستعمرات ويسهمون بدور خطير مهم في حياة هارلم الثقافية ويبسمون في وجه كل امرئ وكل امرؤ يهزأ بهم.

وهناك الهايتيون الذين نزحوا من جمهورية زنجية مستقلة حيث الرجال البيض اقلية معززة مكرمة يعاملهم السكان باشرف وانبل مما يعامل البيض الزنوج عادة.

وثمة الملونون الذين يتكلمون الاسبانية واخصهم البورتوريكيون الذين يعانون الامرين من تفرقة البيض فيحاولون المحافظة على التوازن بان يتعالوا على الزنوج ويقفوا على مبعدة منهم.

وثمة الزنوج الذين يتكلمون الفرنسية. نزحوا من مختلف الممتلكات الواقعة تحت النفوذ الفرنسي. انهم يخالطون الفرنسيين ويمتزجون بهم باسهل مما تمتزج أي جماعة من الزنوج باي جماعة اخرى من البيض

في البلاد وهم لا يتخلفون ابدا عن الاحتفال بالذكرى السنوية لسقوط الباستيل.

وهناك الزنوج المسلمون والزنوج المولودون مع الهنود الحمر والزنوج المولودون مع اهل الملايا ومع الصنيين ومع الفلبينيين ويأتي اخيرا بين الملايين الاخرى من زنوج امريكا القبيلة الزنجية - اليهودية القديمة! وعددها زهاء عشرة الاف نفس. هؤلاء ظلوا يمارسون طقوسهم الدينية آلاف السنين، يقرأون التلمود والتوراة ويرسلون ابناءهم الى "الكنيس" ولا يأكلون الا "الكاشير" من اللحوم ويعطلون ايام السبوت ويطيعون حاخاميهم ذوي اللحي المسترسلة طاعة عمياء يمازجها الاحترام وهم شياطين التجارة ومنهم من لا يتكلم الا العبرية وربما رأى بعض الناس ان القول باجتماع صفة الزنجي واليهودي في جسم واحد هو مبالغة وتهويش غير مستساغ وان الصواب هو وجوب اختيار احدى الصفتين فنقول ان الزنوج اليهود ليسوا بيهود المجتمع الزنجي على حد المفهوم الاوربي، فهم عشيرة قائمة بذاتها لا يسمى افرادها انفسهم زنوجا بل احباشا او أمريكفريقيين، او يهود افريقيا.

* * * * * *

هذا التصنيف بالطبع مبسط للغاية فهناك عدد لا يحصى من الزنوج الذين يحتملون مصيبتهم الاليمة بكثير من الشجاعة وبحكمة فلسفية ومن ناحية المبدأ فتصنيفي هذا ينطوي على كثير من الحقيقة والواقع. وفي رأيي ان الزنوج لو لم يصعروا خدودهم لأمكن تبرير الاحتقار المنصب عليهم وتعليل التفرقة التي يجابهونها. وان برهنت الاوضاع الراهنة فستبرهن على ان الزنوج ليسوا شرا او خيرا من سائر سكان البلاد، ولا شرا او خيرا منا نحن سكان العالم!.

الفصل الرابع

المعتدل واللاذع

ولايات الاتحاد

لما نزلت بارض انكلترا قبل تسع سنين دعاني احد الاصدقـــاء الـــى مشاهدة مباراة دولية في كرة القدم، فسألته:

- مباراة دولية؟ مع من؟ فرنسا؟.

فأجابني:

- آه، كلا، فليس ذلك مسليا انها مباراة مع ويلز!.

فصعقت وانتابتني دهشة عظيمة لدن سمعت ان مباراة كرة القدم بيـــن مقاطعتي انكلترا وويلز تعد "مباراة دولية". ان اصدقائي الانكليز الذيـــن قصصت عليهم هذا الخبر، لم يتبينوا تماما الهدف الذي ارمي اليـــه امـــا الان فانا أعلم جيدا ما غابت معرفته عن سكان القارة الاوربيـــة او مـــا نسوه وهو ان جزر بريطانيا العظمى يسكنها ثلاثة شعوب والبريطـــانيون بدورهم عرضة للنسيان كذلك ان الولايات المتحدة ليست بلدا واحدا، بـــل هي اتحاد لثمان واربعين ولاية، يضاف الى هذا العدد منطقة كولومبيـــا المعروفة غالبا باسم "واشنطن د. س".

يكن بعض الولايات لبعضها الاخر كرها قتالا ونفرة عميقة وقد عـــبر لي احد سكان ولاية نيو جرسي مرة عما يخالج بني وطنه من اسى والـــم

لانهم لا يستطيعون التحالف مع ولاية "كونيكتكت" لمهاجمة ولاية نيويورك، فقلت اواسيه:

- يا له من عار وخيبة، الا يكون عند ولايتكم جيش خاص بها؟.

فأجاب:

- من قال ذلك؟ ان لولايتنا جيشها الخاص من متطوعتها "المليشيا".

قد تجد في بعض الولايات روحا وطنية اقليمية ناشطة متفاقمة فسكان تكساس مثلا ذوو وطنية صادقة فعلا وقد ساهم عدد من جنود تكساس في غزوة فرنسا العام 1944 وعلى اثر ذلك خرجت احدى صحف تكساس الى الناس بالعنوان الكبير الاتي:

"التكساسيون يغزون نورماندي"

وبين الجنوب والشمال نفور متبادل عنيف وكراهة لا توصف وما زال بعض اهل الجنوب يعتقدون ان الشمال يعاملهم معاملة القاهر للمقهور وانه يستنزفهم بجعلهم سوقا تجارية له كما بقي الشماليون يعتقدون ان الجنوبيين لم يغيروا معاملتهم للزنوج وعليهم ان يحسنوها. الذين لكلامهم رطانة واحدة في اذني يسخر بعضهم من بعض بسبب سوء التلفظ والعجمة واني اود ان اقدم لك امثلة قليلة من بعض القواعد والانظمة التي ما زالت سارية المفعول في بعض الولايات ، انقلها من كتاب اصدره مؤخرا (ديك هايمن) بعنوان "القوانين السخيفة":

بعض القوانين التي تحفظ السلوك العام

- **في منيلوتا، يجب ان لا تعلق ثياب الرجال الداخلية مع مثلها من ثياب النساء على حبل غسيل واحد.**

- في اكهارت – انديانا، هناك قانون يعاقب الحلاقين الذين يرعبـون الاطفال بالتهديد بصلم آذانهم.
- في سان جوزيف – ميسوري، محظور على رجال الاطفائية فـي المدينة ان يقطعوا الشوارع وهم في ثيابهم الداخلية.
- في كاري – انديانا، ركوبك الترامواي قبل مرور اربـع سـاعات على اكلك ثوما يعد مخالفة قانونية.
- في موزيه – يوتاه، يمنعك القانون من مراقصة أي فتاة ما لم يكن يرى بينكما ضوء نهار.
- في انديانا، ممنوع ان تغوي سيدة صغيرة السـن علـى تعـاطي الزنى، وانت تعلمها التزلج على الجليد.

قوانين لحماية الحيوان

- في ماين انك تخرق القانون اذا اشعلت النار في بغل من البغال.
- في بلتيمور – ماريلاند، اذا عذبت "جنديا" ارتكبت جريمة.
- في كنتكي، ترتكب جريمة اذا صوبت طلقات مسدسك على تماثيل الحمام الجبسية في موسم الفقس.
- في آلاباما، من الممكن ان تزج في السجن اذا وجد في حوزتـك "جمبري مائي مملح، ما لم تكن قد سكنت الولاية سنة واحدة علـى الاقل.
- في كاليفورنيا، اذا نصبت فخاخا للفيران، ولم تكن ممنوحا اجـازة بالصيد، أوخذت قانونا.
- في ستيل – واشنطن، محظور على "سمك المرجـان" ان يركـب باصات المدينة الا اذا بقى في محله ساكنا.

- في لويزفيل – كنتكي، ممنوع ان تصيد سمكة بالقوس والنشاب.
- في جوليت – الينيوي، من الممكن ان تزج امـــرأة فـــي الســـجن لتجربتها اكثر من ستة فساتين في دكان واحد.

"متنوعات"

- في سولت سانتا ماري – مشيغان، اذا بصقت في مـــهب الريـــح، ارتكبت مخالفة قانونية.
- في كنتكي محظور على أي مرأة ان تخرج في ثياب الاستحمام ما لم تكن مسلحة بدبوس (هراوة).
- في اركنساس، اذا اخطأت في تلفظ كلمـــة "أركنســـاس" ارتكبـــت مخالفة قانونية (وللمعلومات نقول انها تلفظ: اركانسو).
- في موهيف – اريزونا، كل من يقبض عليه وهو يختلس صابونة، اجبر على الاغتسال بها حتى تذوب كلها.
- في كونزبورو – جورجيا، اذا صرخت (O Boy!) خرقت احكام القانون.

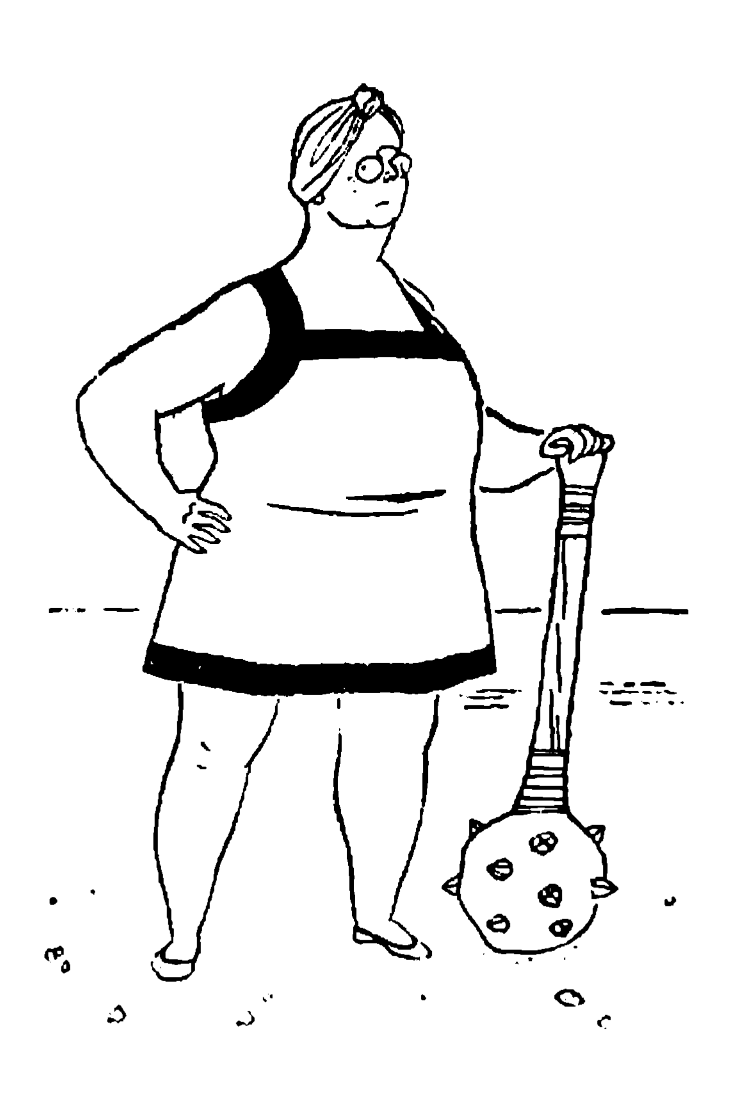
"الامن العام"

- في فورت ماديسن – آيوا، يجب على فرقة الاطفـــاء ان تشـــتغل لمدة ربع ساعة قبل ان تتوجه لاخماد النيران!.

"القانون وسائط النقل"

- في نيو هامبشير، اذا التقت سيارتان في نقطة تقاطع، وجب علـــى سائقيهما ان يقفا حالا ولا تواصل احدهما السير ما لم تسر الثانيـــة في حال سبيلها.

• • • • • •



"احذروا كلاب البحر!"

مظهر قانونى لا شائبة فيه

من السهل علينا ان نكسو الموضوع طرافة بجعل تنوع القوانين والنظـــم والعادات لمختلف الولايات الامريكية مادة للمزاح والتفكه لكن نجاح هـذه الولايات في ازالة كل ما يدعو لنشوب حرب داخلية فيما بينها ونجاحـــها في تأسيس اتحاد فدرالي "عظيم" هو عمل جبّارٌ، ومثل يحتذى في العـــالم ولاسيما (الامم المتحدة)، انه لم يمر طويل زمن على تصريح الناس بـــان خضوع الولايات الشمالية لحكومة واحدة، إنما هو حلـــم خيـــالي وقـــول ساذج كما هو القول بانه من السذاجة بمكان ان يتصور خضــــوع بـــيرو وروسيا السوفياتية معاً الى سلطة مركزية واحدة.

ان الوجود الفعلي للولايات المتحدة الشبيه الفعلي لدول الكومنويلـــــث لهو دليل على حكمة عظيمة وبرهان على روح تسامح وحنكة سياســـية، ولقد اشار صديقي النيوجرسي المذكور آنفاً بقوله:

– انه من السهل على الانكليز ان يعيشوا في سلام معـــــاً، فاســـتراليا تبعد عن انكلترا بالآف الاميال، اما نيويورك فقريبة منا، ها انـــها عـــبر النهر لا اكثر!.

الحاكمون

انت تعلم مثلا، بان منهج حزب العمال هو تأميم عدة صناعـــات وان حزب المحافظين يعارض هذا المبدأ. امثـــال هـــذا التنـــاقض المبدئـــي "الايدلوجي" يكاد لا يظهر له اثر في امريكا، ومنهج احزابهم الفعلي هـــو هذا: ايجب على الولايات المتحدة ان تمنح قرضا كبيرا لانكلـــترا ام لا؟ اما زعيم الديمقراطيين المخلص في "سلوم سبرنكز – الاباما" المشــــهور بعطفه على اليهود، فقد يتخذ موقفا معاديـــــا مـــن البريطـــانيين بســـبب فلسطين. وقد تخطب في القرية الثانية ابنـــة مديـــر المصـــرف لطيـــار

انكليزي في القوة الجوية الملكية سابقا، عرف برقة طباعه ونبلها، عندئذ يضطر الزعيم الديمقراطي السالف الذكر الى القول:

- دعوا الفتى المسكين يتزوج الدراهم!

كل هذه الاشياء تبدو معقدة جدا وهي في الواقع بسيطة فالفارق بين اكبر حزبين في امريكا هو فارق جسيم وواسع جدا، اشد مما هو بين الحزب الشيوعي والجناح الديمقراطي اليميني في أي حكومة ائتلافية اوروبية، وبعبارة اخرى هو:

1- حزب في دست الحكم، حزب خارج دست الحكم.

2- احد الحزبين يريد البقاء في الحكم والحزب الاخر يريد اخراجه. (على كل حال، فمصدر عظمة الوزير الحقيقية ليست مبادئه السياسية او آراءه او اصلاحاته او قوائم مرشحيه. انما هو الحقيقة البسيطة الاتية: انه وزير! واعظم فرق في منصب الوزير هو الا تكون وزيرا! وهذا القول يصدق على تسعة اعشار الحالة).

هناك طبقتان من طبقات هذا المجتمع تقفان فوق أو تحت جميع الاحزاب وتحكمان الولايات المتحدة حكما فعليا واول تلكما الطبقتين: طبقة النساء. ليس بين نساء امريكا امثال "مدام دوباري"[1]، ولسنا بصدد القصة القديمة "فتش عن المرأة" بل هي قصة "فتش عن المال"، فالنساء كقاعدة هناك عامة لا يشتغلن. والثابت المعلوم انهن ينفقن تسعة اعشار المال الذي تنفقه جميع البلاد، وهذا ما يعطيهن سلطة اجتماعية واقتصادية وسياسية هائلة لا حدود لها. فالمجتمع الامريكي والحالة هذه، انثوي السلطة خلا ان الذكور لا نفع فيهم، لا يعقمون جنسيا كما هو

---

[1] حظية الملك الفرنسي لويس الخامس عشر وكانت تمارس نفوذا عظيما.

الحال عند قبائل معروفة في فرموزا (تايوان) لكن مصيرهم المحتوم هو انتاج مصنوعات لا قيمة لها (كأصناف معينة من المجلات والروايات، وكل الافلام السينمية تقريبا وادوات التجميل، وبرامج الاذاعة... الخ) كما قدر عليهم ان يلبسوا اربطة عنق ذهبية، ومثلها من الجوارب المطرزة بدارات فضية، فاذا نجح هؤلاء الذكور المساكين في جمع المال اسست النساء حالا وبصورة آلية نوادي خيرية لانفاق هذا المال باسرع الوسائل. واكثرية هذه النوادي تبث انبل الافكار وتساند شر المقاصد. وبعض هذه النوادي نزل الى حلبة الميادين الخيرية متأخرا، والفضل كل الفضل يعود الى النساء في "تحويل الجامعات الامريكية وكلياتها الى مدارس صغيرة ملحقة بملعب كبير (استاديوم) على حد قول شارلس وماري بيرد.

هناك طبقة واحدة تسمو على طبقة النساء وهي طبقة الاطفال والمعروف انه يجوز للاطفال ما لا يجوز لغيرهم فبأمكانهم يتضاربوا باقسى ما يطيقون في الحديقة واياك والتدخل. قد تشاهد صبيا راكعا على صدر صبي اخر، وهو يدق رأسه دقا شديدا على حجر الرصيف صائحا به:

- سلم.

وانه ليواصل عمله هذا حتى يصرخ المضروب:

- سلمت!

فيقوم عنه ويسدل الستار على الموضوع واياك ان تتدخل لان الاطفال مصونون غير مسؤولين والطفل الثاني الملقى على الرصيف مصون هو الاخر واياك والتدخل في امره. رأيت مرة بنت اربع عشرة سنة تقرأ شعرا لشرطي مرور في نقطة التقاء شارعي برودوي بالرابع

والاربعين، والمسكين يائس حائر لا يدري ماذا يفعل الا ان يصغي بكل انتباه. والاطفال ايام عيد الميلاد يتلفون من الدمى واللعب اثناء تقليبها في المخازن ما تقدر قيمته بملايين الدولارات لكن هذا المتلف يضاف الى المصاريف والنفقات. وعندما عرضت "ميسوري" للجمهور (وهي البارجة الحربية التي تم استسلام اليابانيين على ظهرها) وسمح للناس ان يصعدوا اليها احدث بها الاطفال الامريكييون من التلف والدمار ما لم تقو على احداثه، العمليات المشتركة لقوتي البحر والجو اليابانيتين طوال الحرب.

العصر الامريكي

سواد امريكا اناس طيبو القلب، اطهار الضمير. كنا في هنغاريا نعرف السمح الجواد بانه ذلك الانسان الذي لا يتردد في اعطائك آخر قميص له، اذا وجدك في حاجة اليه. هذا التعريف لا ينطبق على الامريكي، فلو احتجت قميصا سارع في اقراضك بعض المال لشراء قميص، بشرط:

1- ان تبتاعه منه.

2- ان لا تكون شيوعيا (في كثير من الاحيان يعرفون الشيوعي بانه ذلك الشخص الذي لا يملك قميصا).

الرخاء والطمأنينة تجعل من امريكا بلادا ذات امكانيات غير محدودة، ولما كانت اكثرية الناس ترغب في المطالعة (اغلبهم يستطيع ان يخاطروا بانفاق ربع دولار على مطبوع ما) لذلك وجد فيها من الاميين الذين يتكسبون بآثارهم القلمية ما يربو على حاصل جمع امثالهم في البلاد الاخرى الاقل حظا وتوفيقا في شؤون الثقافة.

في ايام الصغر كنا قد الفنا بيننا نحن صبيان الحي فرقة لكرة القدم، ندخل بها في مسابقات مع فرق الاحياء والحارات الاخرى. وكان من بين اعضاء فريقنا صبي يدعى (سامي). يفرض على الفريق دائما ان يسلم له بحقه في ان يلعب بموقع "هجوم الوسط" فيتم له ذلك وليس ثم احد في الفريق يستطيع معارضته او ينافسه في مطلبه مع انه لم يكن يمتاز عن سائرنا بمهارة خاصة تؤهله الى الفوز بهذا الموقع الهام في اللعبة. لكنه كان يريد ذلك. وهو يظفر بالموقع دائما ولا يمكن لاحد منا منافسته فيه. او تفضيل نفسه عليه،

والسبب؟

لأنه صاحب الكرة!.



وضعية الامريكي العالمية حسب تقديره الشخصي. ان تحدب سطح الارض يجعل من المستحيل عليه ان يتبين حقيقة مركزه هذا، بدون ان يحني جذعه وينحرف عن مدى رؤيته، لذلك كان حد الخطأ المحتمل، في تقدير هذا الرسم المثبت اعلاه بقدر سعة المحيط الاطلسي !

آثار المترجم

المؤلفات والمطبوعات

- هيئة المحلفين (دراسة قانونية) ط. نقابة المحامين 1956.
- تحليف الشخص المعنوي اليمين في قرارات محكمة تمييز العـــراق (دراسة قانونية) الموصل 1957.
- معاني اسماء الاصوات في كتاب الاغاني للاصفهاني، مع نبذة مـــن تاريخ اهتمام المستشرقين بالموسيقى العربية. [مــــن اصـــدارات المجمع العلمي العراقي: بغداد 1958.
- قصة المحلفين (دراسة قانونية تاريخية) الموصل 1958].
- اسقاط النظام لا يكون بهذا. [الطبعة الاولى فـــي طـــهران 1986، الطبعة الثانية في لندن 1987، الطبعة الثالثة في ستوكهولم 1990 دار آزاد].
- العراق في عهد قاسم: آراء وخواطر. الجـــزء الثـــاني، دار آزاد. ستوكهولم 1989.
- مغامرة الكويت: الوجه والخلفية. جـــزآن، دار آزاد – ســـتوكهولم 1991.

  الطبعة الثانية: سليمانية، العراق (المطبعة مجهولة).
- حول جرائم الحرب ومرتكبيها في العـــراق والكويـــت. دار آزاد. ستوكهولم 1992.

- آراء محظورة في شؤون عراقية معاصرة. دار الشمس للطباعة والنشر، ستوكهولم 1995.
- رجال ووقائع في الميزان. مطبعة اربيل، دار ئاراس للنشر، اربيل 2001.
- مباحث أشورية: تاريخ ما اهمله التاريخ، دار زهريرا (الشعاع) للنشر. ستوكهولم 1997.
- زيارة للماضي القريب. ستوكهولم 1998، دار الشمس للطباعة والنشر.
  طبعة ثانية غير مرخصة في السليمانية 1999.
- مبحثان على هاشم ثورة الشيخ عبيد الله النهري. دار الشمس للطباعة والنشر- ستوكهولم 2000.
  طبعة ثانية دار ئاراس للنشر- اربيل 2001.
- يقظة الكرد تاريخ سياسي 1900- 1925. دار ئاراس للنشر. اربيل 2002.

التراجم المطبوعة

- الاصول التاريخية لحركة العمال العالمية (أي. جي. كامبل) بغداد 1946. (من مطبوعات حزب الشعب).
- آخر يوم لمحكوم بالموت (ڤيكتورهوگو). الموصل، المطبعة العصرية 1954.

  الطبعة الثانية دار سپيريز. دهوك 2003.
- كيف تنطح السماء. عرض نقدي فكاهي للحياة في امريكا (جورج ميكاش) الموصل 1952.
- ذكريات في بيت الموتى (فيدور دستويفسكي) دار اليقظة العربية - دمشق 1953.
- تراث الاسلام (لجماعة من المستشرقين) مع دراسات وتعليقات المترجم.

  طبعة الاولى الموصل. المطبعة العصرية 1953 (في مجلدين)

  طبعة ثانية وثالثة ورابعة: دار الطليعة - بيروت 1973-1979 (في مجلد واحد).

  طبعة خامسة. وزارة التربية، اقليم كردستان. مطبعة الحكومة (في مجلدين) 2001.
- كارمن (پروسپرميرميه) مع دراسة عن الغجر الاسپان. الموصل المطبعة العصرية 1955. المطبعة العصرية طبعة ثانية دار سپيريز- دهوك 2002.

- كرد وترك وعرب (سي. جي. ادمونـــــدز) دار العروبـــة للنشـــر، بغداد 1971.

  طبعة ثانية (دار ئاراس للنشر، اربيل 1999).

- مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان (و. أ. ويگرام) دار العروبة للنشر، بغداد 1971.

  طبعة ثانية (دار ئاراس للنشر، اربيل 1999).

  طبعة ثالثـــــة دار زهريـــرا بالاشـــتراك مـــع مكتبـــة الانكـــال. شيكاغوا 1997.

- طريق في كردستان (أ. م. هاملتون) دار العروبة للنشـــــر- بغـــداد 1971.

  طبعة ثانية. دار ئاراس للنشر، اربيل 1999.

- جمهورية مهاباد (وليم ايگلتن الأبن) دار الطليعة - بيروت 1972.

  طبعة ثانية. دار ئاراس للنشر، اربيل 2001.

- تاريخ الموسيقى العربية حتـــى القـــرن الثـــالث عشـــر الميـــلادي (هنري جورج فارمر) مع تعليقات وملاحق (دار الحياة للنشـــــر- بيروت 1972).

  طبعة ثانية عين الدار في 1995.

- رحلة الى رجال شجعان (دانا ادم شمدت) دار مكتبة الحياة للنشر - بيروت 1972.

  طبعة ثانية. دار ئاراس للنشر- اربيل 1999.

- كردستان او الموت (رينيه موريبس) مطبوعات كردولوجيا لنــــــدن 1986.

طبعة ثانية. دار ئاراس للنشر – اربيل 1999.

- العراق في عهد قاسم: تاريخ سياسي 1958-1963 (أوريـــل دان) الجزء الاول. دار آزاد للنشر – ستوكهولم 1989.
- الحرب الكردية وانشقاق 1964 (المترجم بالمشـــاركة مـــع ديڤيد ادامسن) دار آزاد للنشر – ستوكهولم 1992.
  طبعة ثانية. دار ئاراس للنشر – اربيل 1999.
- فاتحة انتشار المسيحية: اربعة اجزاء:
  - في امبراطورية الايرانيين (ميسوپوتامبا وايـــران 100-637م) (جي. پ. اسموسن) ستوكهولم. دار الشعاع 1997.
  - في اواســـط آســيا والشـــرق الاقصـــى (الاد، الفونـــس منگنا) ستوكهولم. دار الشعاع 1997.
  - في الهند (الاب الفونس منگنا) ستوكهولم. دار الشعاع 1998.
  - في الصين وبلاد المغول (الاب جون. م. ل. يونگ). دار الشـــعاع 1998 ستوكهولم.
- مذكرات بنڤنوتو چلليني (بقلم چلليني). دار ئـــاراس للنشـــر فـــي اربيل 2002.
- جنوب كردستان: دراسة انثرولوجية (هـــنري فيلـــد) دار ئـــاراس للنشر. اربيل 2001.
- قيام وسقوط الرايخ الثالث: نهاية دكتاتور (وليم شـــايرر). جـــزآن. دار ئاراس للنشر – اربيل 2003.

التراجم المعدة للطبع

- الترجمة الكاملة لسير بلوتارخ. مع تعليقات وهوامش المترجم (المخطوطة تقع في حدود اربعة الاف صحيفة من القطع المتوسطة بخط اليد).
- حول مد القومية العربية وجزرها – والقضية الاشورية، (في طريقه الى المطبعة. ويقع في حدود 2200 صحيفة من القطع المتوسط).
- مختارات من الاقاصيص البولندي (من عيون الادب الروائي البولندي) تأليف مجموعة من اعاظم القصيصين البولنديين.
- وارثو العرش Kongs Emnerne، تمثيلية من آثار الكاتب الاسكندينافي الشهير هنريك ابسن Henrik Ibsen .
- جنوب الشمس South Of The Sun . للروائي الامريكي ويد ميللر Wade miller.

ملاحظة: الكتب الثلاثة الأخيرة متحجزة من دون سبب لدى ورثة المرحوم داود زيا ابراهيم المغترب في السويد وكان قد استعارها منا للقراءة فحسب، وقد ضاعت جهودنا لاسترداد هذه الامانة، وأنا أعتبرها في حكم المفقودة مع الأسف.

2nd Edition

GEORGE MIKES

HOW TO SCRAPE SKIES

The united states
Explored, Rediscovered & Explained

Nicolas Bently

[Drew The Pictures]

The Arabic Version
By
Georgis Fat-hullah

من الكتاب :

نجاح الولايات المتحدة في تأسيس اتحاد فدرالي عظيم هو عمل جبّار ، ومثل يحتذيه العالم ، لاسيما الأمم المتحدة نفسها . . . ان الوجود الفعلي للولايات المتحدة وهو الشبيه العملي لدول الكومنولث دليل على حكمة عظيمة وبرهان ساطع على روح التسامح وحنكة ودهاء سياسيين . . . صديقي من نيوجرسي اشار قائلاً «من السهل على الانكليز ان يعيشوا بسلام معاً فاستراليا تبعد عن انكلترا آلاف الاميال . اما نيويورك فقريبة منا وهاهي تقع عبر هذا النهر لا اكثر!» .

جورج مايكش



جرجيس فتح الله



www.spirez.com

Spirez Press & Publisher

Kurdistan - Duhok